إطُـو صَـتْشِـؤ

زهرة الأقحوان البرية



أدب مترجم
كلاسيكي

ترجمة
د. ماهر الشربيني

المحروسة

زهرة الأقحوان البرية

إِطَو صَتشِؤ



عنوان الكتاب: زهرة الأقحوان البرية 野菊の墓
المؤلف: إطُو صَتْشِو 伊藤左千夫
ترجمة: د. ماهر الشربيني
مراجعة لغوية: شرين يونس
إخراج داخلي: رشا عبدالله

المحروسة

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة
ت، ف:- 28432157 02 002

 mahrousaeg

mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران
مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ٤٨٠٤/ ٢٠٢٣
الترقيم الدولى: 978-977-313-961-2

نوفلا



زهرة الأقحوان البرية

إطو صَتْشِو

ترجمة

د. ماهر الشربيني

الطبعة الأولى 2023





بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

إطُو صَنْشِوْ

زهرة الأقحوان البرية/ إطُو صَنْشِوْ؛ ترجمة: ماهر الشربيني.-ط1

القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2023

80 ص؛ 21.5×14.5 سم

تدمك 978-977-313-961-2

1 -القصص اليابانية

أ- الشربيني، ماهر (مترجم)

ب- العنوان

895.63

رقم الإيداع 2023/4804



مقدمة المترجم

هذه الرواية جديدة للعرب الذين يحبون الأدب الياباني بصفة خاصة، ولمن يهتم بمعرفة الثقافة اليابانية والمجتمع الياباني وعاداتهم وتقاليدهم بصفة عامة، وللعربي المهتم بمعرفة أدبه؛ فلن يعرف ذلك إلا إذا قارنه بأدبٍ أجنبي آخر مثل الأدب الياباني، وللمتخصصين من طلاب اللغة اليابانية؛ سواء لزيادة ثقافتهم عن اليابان أو للترجمة، وذلك بمقارنة النص الياباني بالنص العربي، وللكتّاب والمؤلفين الذين يرغبون في معرفة الموضوعات التي يتناولها المؤلفون اليابانيون وأسلوبهم في السرد. كما أنها توجّه نصائح مهمة جدًّا إلى أولياء الأمور والمجتمع حول كيفية التعامل مع الفتى والفتاة، ويمكن تمصير أو تعريب القصة وتحويلها إلى فيلم أو مسرحية. وعمومًا قراءة قصة يابانية مترجمة إلى العربية فرصة ذهبية للقارئ العربي، لأن عدد مترجمي اللغة اليابانية قليلون، وعليه فإن الأعمال التي تُترجم كل عام إلى اللغة العربية، لا تزيد على أصابع اليد الواحدة، وتنفد طبعاتها بسرعة.

تتحدث الرواية عن قصة حبٍّ بين فتى وفتاة تواجه مشكلات مع المجتمع بسبب العادات والتقاليد.

وهي من الشهرة بحيث إنه لا يوجد ياباني لا يعرفها، ربما تكون أشهر قصة حبٍّ منذ نشرها عام 1906 إلى الآن، وأعيد نشرها مراتٍ لا حصر لها، وعلى قدر ما استطعت من بحث، وإن كان بحثًا ليس كافيًا: بالنسبة إلى النشر الورقي، نشرت ما لا يقل عن عشر دور نشر الرواية، آخرها طبعة مزوَّدة بصورٍ توضيحية للأطفال عام 2009. ولا توجد إحصائية دقيقة عن عدد الطبعات، لكنها وصلت إلى عدة ملايين. كما تم تحويل القصة إلى أفلام أنتجتها شركات سينما مختلفة، وذلك عام 1955 وعام 1966 وعام 1981، وقامت المغنية الشهيرة "مَتْسُدَ سِيِقُ/"ببطولة فيلم عنها عام 1981، وأيضًا تحوَّلت الرواية إلى مسرحيات وعُرِضت في أعوام 1983، 2001، 2003، 2005، 2007، 2009، على مسارح مختلفة، كما عُرِضت كمسرحية غنائية عامي 2008، 2009، وكذلك حُوِّلت إلى مسلسلات تلفزيونية وأنتجتها شركات مختلفة، في أعوام 1959، 1961، 1963، 1965، 1973، 1975، 1977، 1993، 1994، كما حُوِّلت إلى مانجا، وإلى أنمي، وقصص صوتية، وقصص إلكترونية. وخلاصة القول أنها من الأعمال الخالدة التي سوف يستمر إنتاجها. ولتقريب الفكرة، ربما تكون بمثل شهرة قصة عنتر وعبلة، أو قصة love Story، ولكن المحتوى يختلف.

أهم شخصيات الرواية

"طَمِ" بطلة الرواية، وهي فتاة في سن الخامسة عشرة وعدة أشهر، ولكن سنها في الأوراق الرسمية سبعة عشر عامًا وعدة أشهر.

"مَصَ" بطل الرواية، وهو فتى في سن الثالثة عشرة وعدة أشهر، ولكن سنُّه في الأوراق الرسمية خمسة عشر عامًا وعدة أشهر.

"أَمَسُ" الخادمة التي تعمل في منزل بطل القصة.

"طُمُرٌ" اسم عائلة البطلة.

"صَيْطُوُ" اسم عائلة البطل.

أهم أماكن أحداث الرواية

تقع أحداث القصة في اليابان وخاصة في الأماكن التالية:

"يَكِـرِ" اسـم مـكان معديـة عـلى ضفـة النهـر الغـربي لنهـر "إضُغَـوَ" يمـرُّ بالقـرب مـن قريـة بطـل الروايـة، وهـو مـكان رسـو قـارب يحمـل مـن يريـد الذهـاب إلى القريـة مـن الناحيـة الغربيـة إلى الناحيـة الشرقيـة حيـث توجـد القريـة. وفي الوقـت ذاتـه هـو اسـم القريـة التـي تـدور فيهـا الأحـداث، وتلـك القريـة تقـع في الناحيـة الشرقيـة للنهـر، عـلى خـط مسـتقيم مـن المعديـة، وهـي قريبـة مـن المعديـة، والأغلـب أن اسـم المعديـة جـاء مـن اسـم القريـة.

"إتْشِـكَوَ" المدينـة التـي يقـع فيهـا منـزل البطلـة وتبعـد قليـلًا عـن قريـة البطـل.

"مَتْسُضُ" مدينة كبيرة تبعد عن قرية البطل نحو ثمانية كيلومترات.

"تْشِـبَ" اسـم المحافظـة التـي دارت فيهـا أحـداث القصـة، وهـي محافظـة قريبـة مـن طوكيـو، وتقـع في ناحيتهـا الشرقيـة.


أهم جروبات علي تليجرام
باحثون
هنا سور الأزبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية

عندما يأتي ذلك اليوم من كل عامٍ، لا أستطيع بكل الطرق منع نفسي عن التفكير في ما حدث. كنّا صغارًا وقتها، ورغم أن ذلك اليوم صار صفحة قديمة من صفحات الماضي؛ حيث مرَّ عليه ما يزيد على عشرة أعوام، مما جعلني قد نسيتُ جميع التفاصيل الصغيرة لتلك الفترة، فإنني ما زلتُ أتذكر أحداث تلك الليلة بالتحديد، أتذكرها كأنها وقعت أمس، ويبكي قلبي من دون توقف كل عامٍ في ذكراها، ومثلما مررتُ في تلك الفترة ببعض الأحداث المحزنة، مررتُ أيضًا ببعض الأحداث السعيدة، ولا أنكر أنني أحاول النسيان، ولكن من دون رغبة مني، أجدني أفكر باستمرارٍ في تلك القصة، أفكر مرارًا وتكرارًا من دون توقف، بل أشتاق إليها وأهيم بها في خيالي؛ وهذه المشاعر هي التي دفعتني، إلى التفكير في تدوين ما حدث.

تقع قريتي فوق هضبة منخفضة، تبعد عن مدينة "مَتْسُضُ" بثمانية كيلومترات فقط، وتُسمَّى قرية "يَكِرِ"، لأنها تقع علي الضفة الشرقية للنهر، بالقرب من معدية قوارب تُسمَّى بنفس الاسم، وأما منزلي، فهو معروف في كل القرية، لو سألت عن منزل السيد "صَيْطُوُ"، سوف يشيرون إليه ويقولون "إنه ذلك المنزل القديم الكائن هناك"، وقد سمعت من جدي لأمي، أن عشيرتهم التي تُدعى "صَطُمِ"، وهي عشيرة ذات مجدٍ وتاريخٍ، قد هُزمت في إحدى الحروب، فنزح عدة أشخاص منهم إلى هنا وعملوا في الزراعة، وكان أحدهم هو السيد "صَيْطُوُ". وفي الناحية الغربية لقاعة استقبال الضيوف، توجد ست

أشجارٍ ضخمة من أشجار الكستناء تلتفُّ حول بعضها، وتلك الأشجار تحتل مساحة نحو خمسة وأربعين مترًا مربعًا، وتكوِّن حاجزًا يحمي منزلنا من مخاطر الرياح العاتية وما يصاحبها من أمطار، إنها لفيفٌ من الأشجار لا مثيل له في القرية، مما جعل أهل القرية جميعًا يحسدوننا عليها. ويُقال إنه بفضل لفيف الأشجار هذا، منزلي هو الوحيد الذي لم يتحطم سقفه أبدًا منذ القدم بسبب الرياح، مهما كانت تلك الرياح مُدمِّرة، رغم أن المنزل وما حوله قديم جدًّا، وأعمدة المنزل جميعها من أشجار الكستناء. وبسبب الأدخنة الناتجة عن إشعال فرن البار وما يصاحبها من ترسُّبات في كل مكانٍ، باتت أسقف الغرف جميعها سوداء ولزجة كأنها مطلية بلون زيتيٍ أسود، لدرجة أنك لا تستطيع بالنظر تمييز نوع الأخشاب المستخدَمة في بناء السقف، كما أن المنزل ذو سقفٍ مرتفعٍ مقارنة ببقية المنازل العادية، وفي الأماكن المرتفعة توجد فتحاتٌ للتهوية، وتوضع فوق المسامير التي تُستخدَم في تثبيت أخشاب المنزل حُلي مصنوعة من الفضة كي تخفيها وتجمِّل مظهر المنزل من الداخل، وليس هذا فقط، بل تلك الحُلي على شكل إوز ضخم الحجم، وطبعًا بمجرد النظر إليها لن تستطيع أن تميز إذا كانت مصنوعة من المعدن أم الخشب، بسبب أنها قديمة جدًّا.

ويُقال إن هذا المنزل القديم قد شُيِّد في عصر الحروب الأهلية التي دارت منذ عدة قرون، وإن مَن شيَّدوه، هم أجدادي من ناحية أمي، ولذلك فإن أمي تفتخر به دائمًا. ومنذ فترة طويلة تعاني أمي من أمراض خاصة بالدورة الدموية مما جعلها تستخدم الحجرة المظلمة القابعة في آخر ركن في المنزل كحجرة للنوم، وفي الركن الغربي لتلك الحجرة ومساحته قرابة ثمانية أمتار مربعة، توجد حجرة صغير مساحتها نحو ثلاثة ونصف متر مربع، تستخدمها أمي عندما أكون خارج المنزل كحجرة لحياكة الملابس بالماكينة، ولكن عندما أكون في

المنـزل أسـتخدمها كحجـرة للمذاكـرة، وعندمـا أخـرج رأسي مـن نافـذة تلـك الحجـرة، أجـد أشـجار كسـتناء تعـوق مشـاهدة السـماء في الناحيـة الشـمالية مـن المنـزل.

وبمـا أن أمـي مريضـة وتشـعر بـدوارٍ، ومرضهـا مسـتمرٌ منـذ فـترة، فقـد جـاءت إلينـا مـن أقاربنـا المقيمـين في مدينـة "إتْشِـكَوَ"، فتـاة اسـمها "طَـمِ" وهـي ابنـة خالتـي، كي تراعيهـا وتسـاعدها في أعـمال المنـزل، ومـا لا أسـتطيع نسـيانه حتـى الآن هـو العلاقـة التـي كانـت بينـي وبـين "طَـمِ"، ولا أقصـد أنهـا كانـت علاقـة غـير لائقـة.

كنـتُ وقتهـا، قـد تخرجـت في المدرسـة الابتدائيـة، وكان عمـري في الأوراق الرسـمية خمسـة عـشر عامًـا وعـدة أشـهر، رغـم أن عمـري الحقيقـي كان ثلاثـة عـشر عامًـا وعـدة أشـهر[1] وأمـا "طَـمِ"، فكانـت أكـبر مـن عمـري الحقيقـي بعامـين وكذلـك في الأوراق الرسـمية.

كانـت "طَـمِ" نحيفـة القـوام جـدًّا، ولكـن وجههـا دائـري الشـكل، وبشرتهـا بيضـاء وصافيـة، يكسـوها لـونٌ أحمـر وردي. في الحقيقـة كانـت فتـاة جميلـة، تشـع ضـوءًا ولمعانًـا وانبهـارًا، دائمًـا تتحـرك هنـا وهنـاك بخفـة وحيويـة ونشـاط، ولم أجـد لهـا أي عـادات سـيئة، تجعلنـي أبغضهـا حتـى ولـو قليـلًا.

كانـت علاقتـي بهـا جيـدة، فأحيانًـا عندمـا تـأتي لتنظـف حجـرة المذاكـرة، تدخـل وتنظـر إلى مـا أفعـل، وأحيانًـا تـأتي كي تزيـل الأتربـة عـن النافـذة، ثـم تقـول: أريـد أن أتعلـم القـراءة والكتابـة، وأحيانًـا توكـزني بيـد المنفضـة في ظهـري، وتجذبنـي مـن أذني ثـم تفـر هاربـة مـن الحجـرة. وكنـت عندمـا أراهـا تمـر في المنـزل، أناديهـا كي تـأتي إلى حجـرة المذاكـرة، فقـد كان اللعـب معهـا ممتعًـا، بـل كان أكـثر متعـة مـن أي شيء آخـر.

---

(1) طبيعـة القانـون اليابـاني الخـاص بالمواليـد وقتهـا، حيـث إنهـم كانـوا يحتسـبون شـهور الحمـل

وكانت دائمًا تُعَنَّف من قِبَل أمي:

"أنـت دخلـتِ حجـرة ابنـي مَـصَ مـرة أخـرى! انتهـي مـن النظافـة بسرعـة وأخرجـي، لا يجـب أن تكـوني عقبـة تشـغله عـن مذاكرتـه، مفـترض أن تفهمـي ذلـك مـن نفسـك، لأنـك أكـبر منـه سـنًّا".

وكانـت أمـي دائمًـا تظهـر ضيقهـا مـن إشـغال "طَـمِ" لي عـن مذاكرتي، رغـم أنهـا كانـت تحبهـا حبًـا جـمًا، مـما جعـل "طَـمِ" لا تنفـذ مـا تقولـه أمـي، وكانـت أحيانًـا تطلـب منـي بإلحـاحٍ أن أعلِّمهـا كيـف تكتـب، وطبعًـا رد فعـل أمـي عـلى ذلـك كان معروفًـا:

"ليـس مهـمًا أن تتعلمـي الكتابـة، المهـم أن تتعلمـي الحياكـة، وإن لم تتعلميهـا جيـدًا، فلـن ينظـر إليـك النـاس بتقديرٍ، ولن تسـتطيعي الـزواج".

في ذلـك الوقـت، لم أكـن أفكـر في القيـام بـأي تصرفـات غـير لائقـة معهـا، وطبعًـا لم تكـن "طَـمِ" أيضًـا تفكـر في ذلـك، واسـتمرت أمـي في إظهـار التذمـر منهـا، ولكـن "طَـمِ" اسـتمرت في دعـوتي إلى الإفطـار أو الغـداء، وفي كل مـرة تـأتي كانـت تـسرع بالدخـول إلى حجـرتي، وتقـول لي:

"أرني كتبك، أعطني قلمك كي أكتب".

هكـذا كنَّـا نلهـو لبعـض الوقـت، وكانـت بعـد أن تذهـب إلى حجـرة أمـي كي تعطيهـا الـدواء، أو تقـضي لهـا مـا تحتـاج إليـه، بالطبـع تمـرُّ عـلى حجـرة مذاكـرتي، وكنـت أشـعر بالوحـدة في اليـوم الـذي لا أشـاهدها فيـه، وبـأن شـيئًا مـا ينقصنـي، وكنـت أناجـي نفسـي قائـلًا: "يـا تُـرى مـاذا تفعلـين اليـوم يـا طَـمِ؟".

ثـم أذهـب إلى حجـرة مذاكـرتي وأنـا في حالـة مزاجيـة سيئة، ولم يكـن عنـدي الجـرأة الكافيـة كي أذهـب إلى حجرتهـا لمقابلتهـا، وعندمـا كانـت

سـنة كاملـة، وعندمـا يمـر أول يـوم رأس سـنة عـلى المولـود يزيـد عمـره سـنة أخـرى، ليصبـح عمـره سـنتان في الأوراق الرسـمية بينـما هـو لم يبلـغ إلا عـدة أشـهر.

عينـي تلمحهـا في المنـزل هنـا أو هنـاك، كنـت أشـعر بالراحـة، وأحيانًـا كنـت أمـزح مـع نفسي وأقـول: "ماذا حـدث! ألم تـأت إلى هنـا كي تقابلها؟".

وأحيانًـا تـأتي فتيـات الجـيران ويدعونهـا إلى الذهـاب معهـن إلى أحـد المنـازل التـي جـاءت إليهـا غازيـة للرقـص والغنـاء، أو للذهـاب معهـن إلى الاحتفـالات؛ حيـث يسـتمعن إلى الشـعر، أو الصـلاة الجماعيـة أو مناسـبات أخـرى شـبيهة، ولكنهـا كانـت تختلـق الأعـذار دائمًـا كي لا تخـرج مـن المنـزل أبـدًا، وأحيانًـا تُدعـى إلى الذهـاب إلى احتفـال القريـة المجـاورة، ومشـاهدة الألعـاب الناريـة والزينـة التـي تغطـي المـكان، أو الذهـاب إلى الناحيـة الأخـرى، عنـد الشـاطئ الرمـلي والجبـال حيـث يحتشـد النـاس هنـاك مـن أجـل المـرح، ولكنهـا كانـت تعتـذر لهـن بحجـة أن أمـي مريضـة، وبالنسـبة إليَّ، فأنـا كنـت أيضًـا أكـره الذهـاب إلى تلـك الأماكـن، وأحـب أن أظـل في المنـزل. وكانـت "طَـمِ" بعـد أن ترفـض دعـوة الجـيران، تـأتي إليَّ في حجـرة مذاكـرتي وهـي تسـير عـلى أطـراف أصابعهـا، وتقـول لي بصـوتٍ خفيـضٍ، وهـي تضحك في سـعادة:

"إن أحلى أوقاتي، هي الأوقات التي أقضيها في منزلكم".

وبالنسـبة إليَّ، لسـببٍ مـا لم أكـن أعلمـه، كنـت أتمنـى ألَّا تذهـب إلى تلـك الأماكن.

وقـد كنـت أذهـب كل ثلاثـة أو أربعـة أيـام إلى مدينـة "مَتْسُـضُ" كي أشـتري لأمـي الـدواء، وغالبًـا مـا كنـت أتأخـر في العـودة إلى وقـت غـروب الشـمس، فكانـت تذهـب "طَـمِ" عـدة مـرات إلى تـلٍّ خلـف المنـزل وتصعد إلى أعـلاه، كي تسـتطيع التطلـع إلى مـرسى المركـب الـذي أعـود بـه، وكان أخـي الأكـبر وزوجتـه يعيشـان معنـا في المنـزل حينهـا، فكانـا يطلبـان منهـا أن تهـدأ، ولكنهـا كانـت تقـول لهـما:

"إن خالتـي قلقـة عـلى سـلامته، وطلبـت منـي أن أذهـب وأتطلـع إلى المـرسى كي أعـرف إذا كان قـد عـاد أم لا".

وكانا يضحكان سرًّا على ما تفعله.

ولهذا السبب، فإن الخادمة "أَمَسُ" التي تخطَّت سن الزواج، كانت تشعر بالغيرة والكراهية تجاه "طَمِ"، لدرجة أنها لم تكن تحب رؤية وجهها، وكانت تقول دائمًا عنها:

"إنها تذهب فقط إلى أي مكان يوجد فيه مَصَ، فهي ملتصقة به ولا تنفصل عنه أبدًا".

وما قالته الخادمة انتشر، وأصبح إشاعة تتردد في كل مكان قريب من المناطق الجبلية المحيطة بنا وفي منطقة شاطئ النهر، ووصلت هذه الإشاعة إلى أذن زوجة أخي الأكبر، فنقلت ما سمعته إلى أمي وحذَّرتها من العواقب الوخيمة لذلك، وفي أحد الأيام، شاهدتُ أمي وكان وجهها تكسوه ملامح صارمة، وإذا بها تستدعيني وتستدعي "طَمِ" إلى فراشها في حجرة نومها، وقالت لنا بضيقٍ شديدٍ:

"عندما يصل عمر الطفل سواء كان ولدًا أو بنتًا إلى الخامسة عشرة أو السادسة عشرة، يكون قد غادر الطفولة، التقارب الأكثر من المفترض بين الفتاة والفتى في ذلك السن، يجعل الناس تخوض فيما لا يجب الخوض فيه، يجب أن تحذرا من التقارب الأكثر من المفترض، وتحذرا من كلام الناس، وخاصة أنتِ يا طَمِ؛ إنك أكبر من مَصَ سنًّا، وما يحدث ليس في صالحك، من الآن فصاعدًا لا يجب أبدًا أن تدخلي حجرته، ابني ما زال طفلًا، ولكن ذلك لا يعني أنني سوف أتغاضى عما يُقال، أنتِ في سن السابعة عشرة، إن أساء الناس إلى سمعتك، فلن تستطيعي الزواج، وأنتَ أيضًا يا مَصَ، يجب أن تكون حذرًا، من الشهر القادم سوف تنتقل للإقامة في مدينة تْشِبَ للالتحاق بالمدرسة المتوسطة هناك".

وهنا تنبَّهت "طَمِ" إلى موضوع أنها أكبر مني سنًّا، وأيضًا إلى دخولها المتكرر إلى حجرة مذاكرتي، فتغيَّرت ملامحها فجأة إلى الشعور

بالحرج الشديد، واحمرَّ وجهها ونظرت إلى أسفل، وعندما انتهت أمي من تعنيف "طَمِ" بشدة كعادتها، وضعت "طَمِ" يديها على الأرض وأحنت رأسها ولم تنطق بكلمة كتعبيرٍ عن الاعتذار، وهنا قلتُ بضيقٍ، وأنا لا أشعر بأننا فعلنا ما يشين:

"أمي، إنكِ بالغت فيما قلتِ. بصرف النظر عما قال الناس، فإننا لم نرتكب أي خطأ، إن ما قلتِه الآن، يشير إلى أننا قد ارتكبنا خطأ لا يُغتفَر، إنك دائمًا تقولين إنني وطَمِ في منزلة الإخوة أليس كذلك؟ وتقولين إنك لا تفرقين بيننا في المعاملة، وإننا بالنسبة إليك سواء، وقلت لنا أن نتعامل معًا بطريقة جيدة ونتصادق، أليس هذا ما قلتِه؟".

ومنطقي أن تقلق أمي علينا، ولكننا لم نشعر أبدًا أن أمي تتعمد أن تقول ما يجعلنا نشعر بضيقٍ من دون سببٍ، كما أن ردي عليها بنفي صحة ما يُقال، كان مبنيًا على حجة منطقيةً، وهنا أظهرت أمي فجأة لينًا، وقالت:

"أنا كأم أعرف أنكما لا ترتكبان أي خطأ، ولكن كلام الناس يُسبِّب المشكلات، لذلك أردت أن أنبِّهكما إلى أخذ الحيطة في تعاملكما معًا، كي لا تعطيا الفرصة للناس للتحدث بالسوء عنكما".

وظهرت في الحال على وجه أمي الشاحب ابتسامة تدل على حبها الحقيقي لنا، وقالت:

"من فضلك يا طَمِ، أحضري لي الدواء، وأكملي حياكة ردائي الجديد اليوم، وأنت يا مَصَ، من فضلك اذهب الآن واقطف بعض الزهور وضعها في زاوية الصلاة على أرواح موتانا، أعتقد أن زهرة الأقحوان لم تتفتح بعد، لذا أقطع بعض زهور النجمة".

ورغم أننا أصحاب الشأن، فإننا كنَّا نتعامل مع بعضنا بتلقائية، ولم نكن منتبهين لنوعية المشاعر التي تنمو بيننا، ولكن ما قيل جعلنا

ننتبـه لمشـاعرنا ولا نسـتطيع الاسـتمرار في علاقتنـا الطفوليـة البريئـة. وبالنسـبة إليَّ، فإننـي لم أتذكـر كلام أمـي وأوامرهـا بعـد ذلـك إلا يومًـا واحـدًا، وبعـد مـرور عـدة أيـام سـألت نفسـي: لماذا لم تحضر "طَـمِ" لعـدة أيـام؟ أمـا "طَـمِ"، فقـد لاحظـت تغـيرًا فجائيًّـا وكبـيرًا في تصرفاتهـا معـي.

لم تعُـد تـأتي إلى حجـرة مذاكـرتي أبـدًا، وعندمـا نتقابـل بالصدفـة في المنـزل في أثنـاء وجـود أحـد، فإنهـا نـادرًا مـا توجـه إليَّ حديثًـا، وإن فعلـت فيكـون حديثًـا مقتضبًـا ورسـميًّا وجافًّـا، وبمجـرد أن تنتهـي مـن حديثهـا تغـادر المـكان بسرعـة.

وإذا اضطـرَّت إلى توجيـه حديثهـا إليَّ، لا تتحـدث بالطريقـة التـي كانـت تتحـدث إليَّ بهـا، فسـابقًا لم تكـن تضـع بينـي وبينهـا أي حواجـز، ولكـن الآن تتحـدث إليَّ بأسـلوب رسـمي مسـتخدمة الكلـمات التـي تـدل عـلى الاحـترام والتبجيـل، وأحيانًـا كنـت أضحـك عـلى مـا تقولـه مـن كلـمات تعظيـم لي، وحينئـذٍ تقـوم هـي بمـداراة ضحكاتهـا بوضـع كـم ردائهـا عـلى وجههـا وتـترك المـكان سريعًـا، المهـم أن هنـاك حاجـزًا أعـاق مـا بيننـا.

ومـع ذلـك في أحـد الأيـام، وكانـت السـاعة قـد تخطـت الرابعـة عـصرًا، قالـت لي أمـي أن أذهـب إلى الجبـل القابـع ناحيـة الجهـة الخلفيـة للمنزل، حيـث يوجـد هنـاك الحقـل، فأجمـع منـه بعـض الباذنجـان، فذهبـت، وبينـما أعمـل فوجئـت بـ"طَـمِ" تـأتي مـن خلفـي حاملـة سـلة وتناديـني وهـي مبتسـمة:

"يا سيد مَصَ".

ثم قالت بحماسٍ، ويبدو عليها سعادة غامرة:

"لقـد قالـت لي خالتـي أن أحـضر أيضًـا لجمـع الباذنجـان، لأن أكتـافي أصابهـا إجهـاد بسـبب العمـل في حياكـة ثوبهـا الجديـد، فقالـت لي أن أسـتريح مـن الحياكـة، وبـدلًا مـن ذلـك أحـضر لجمـع الباذنجـان، ولأننـا

سوف نستخدم الباذنجان في عمل مخللات في صباح الغد، فجئت جريًا كي ننجز الجمع".

فقلت لها:

"حسنًا، وهل هذا يعني أنك كنت لا تعلمين أنني سبقتك في الحضور إلى هنا؟".

فإذا بها ترد قائلة:

"نعم، لم أعرف".

ثم بدأت في جمع الباذنجان وهي تبتسم.

وعندما نذهب إلى حقل الباذنجان، نمرُّ من خلال لفيف أشجار الكستناء ونعبر منطقة مليئة بنباتات الغاب، ثم نتجه ناحية الشمال الغربي فنصل إلى حقول الخضراوات، فنجد داخلها حقل الباذنجان، وبما أن منطقة الحقول هذه تقع فوق جرف، نستطيع رؤية كامل المنطقة الواقعة بين نهر "طُنِغَوَ" ونهر "نَكَغَوَ"، والمسماة بمنطقة "مُصَشِ"، ولكن ليس بوضوحٍ تامٍّ، ويمكن رؤية الجبال "أَشِغَرَ"، الممتدة على منطقة "هَقُنِيْه"، وقمة جبل فوجي، وأيضًا يمكن رؤية غابات، وغالبًا هي غابات منطقة "أُوِينُ" بطوكيو. كنَّا في فصل الخريف، وكانت الساعة نحو الواحدة والنصف بعد الظهر والسماء صافية تمامًا كالماء الصافي، وأشعة الشمس تضرب منتصف حقل الباذنجان بشدة، فينعكس الضوء علينا ونحن واقفان نجمع الباذنجان، وكان السكون الشديد يخيم على المكان، كأننا في لوحة لمنظرٍ طبيعي ونحن نقف في وسط ذلك المشهد.

وهنا توقفت "طَمِ" عن جمع الباذنجان، وقالت:

"يا له من منظرٍ بديعٍ".

حينها وددت لو أعترف لها بما في قلبي، ولكني الآن بالتأكيد لست أنا الذي كان قبل عشرة أيام، لم نعد أبدًا صديقين يعامل أحدهما الآخر على سجيته كأطفالٍ، لقد نما بداخلنا شعورٌ ما في وقت ما دون أن نعي به، ولم أكن أعلم أبدًا ما هذا الشعور، ولا حتى فكرت في كينونته، ولكن بالتأكيد منذ عنفتني أمي وأمرتني بالابتعاد عنها، بدأ ينمو في صدري بذور حبٍّ صغيرٍ تجاهها، وتغيَّرت فجأة حالتي الشعورية، وهذه حقيقة لا يمكن إخفاؤها، والدليل على هذا، أن اليوم، هو أول يوم ينبت في نفسي شعورٌ مختلفٌ تجاهها، شعرت أنها أنثى.

وعندما كانت "طَمِ" بجانبي منحنية تجمع ثمار الباذنجان، أمعنت النظر في وجهها من الجانب، فلاحظت ولأول مرة أنها جميلة وأن جمالها أخاذ، وتعجبت من نفسي أنني لم ألاحظ ذلك سابقًا، ولكني اليوم شعرت من أعماقي بأنها جميلة، واستحوذ ذلك الشعور على كل جزء من روحي وجسدي؛ شعرها اللامع ينساب على جانب وجهها الناعم، ووجنتها الممتلئة تشع نورًا وضياء وحيوية، ورباط جميل يربط بين طرفي القبعة يحيط بذقنها، وما أجمل ياقة الرداء الداخلي ذات اللون البنفسجي التي تحيط برقبتها، والحزام المطبوع عليه أشكال الزهور. توقفت عيني على كل هذه التفصيلات تتفحصها بدقة، فتنبهت إلى أنها جميلة، ما أجملها، وحينئذٍ حدث شيء مرعب لم أتوقع حدوثه، أريد أن أعترف إليها بحبي، ولكني لم أستطع إيجاد الكلمات التي تدل على ذلك، شعرت بالخجل، وعدم القدرة على الكلام بينما أتأمل في وجهها، من المؤكد أن ذلك حدث بسبب ما نبت في داخلي من بذور الحب.

ولحدوث حاجز بيني وبينها خلال آخر عشرة أيام، أدى إلى أننا لم نستطع تبادل الحديث بأريحية، وطبعًا هذا شيء لم يكن أبدًا

في الحسبان قبل عشرة أيام، فشعرت أنني يجب أن أتحدث إليها، فناديتها بتلقائية قائلًا:

"آنسة طَمِ".

ولكن بتلقائية أيضًا لم يخرج من فمي بعد ذلك أي كلمات، تلعثمت، ثم توقفت حنجرتي عن إخراج أي صوت، فوقفت "طَمِ" ممسكة بثمرة باذنجان وقالت: مكتبة سُر مَن قرأ

"ماذا يا سيد مَصَ؟".

"لا شيء، ولكن أنت تغيرتِ في الفترة الماضية، يبدو عليك أنك كرهتِني تمامًا".

وبما أنها أنثى، فكانت سريعة الإدراك لما أقصد، فبدا الحزن على وجهها، وعلى الفور جاءت إلى جواري، ثم قالت:

"كلامك قاسٍ يا سيد مَصَ، منذ متى وأنا أضع بيني وبينك حواجز!".

"ماذا! أنت تغيرت تمامًا خلال الفترة الماضية، يبدو أنني لم أعد مهمًا بالنسبه إليك، وكلامك هذا لا يعني أنني أهاجمك".

فقالت "طَمِ" بانفعالٍ:

"أنت تقسو عليَّ بكلامك هذا، مستحيل أن أضع بيني وبينك حواجز، ألم تستدعِنا خالتي ووبَّختنا بشدة! أنت ولد، يمكنك أن تأخذ الأمور بطريقة عادية، ولن تشعر بما أشعر به، أنا أكبر منك سنًّا، غير أنني فتاة، لذلك عندما سمعت كلامها شعرت بجرحٍ شديدٍ يمس كرامتي وكبريائي، فأصبحتُ حريصة بشدة على التعامل معك بحذرٍ، والآن تقول لي إنني وضعت حواجز بيننا لأنني كرهتك! كلامك هذا أغضبني".

ثـم حدقـت إلى وجهـي طويـلًا والدمـوع في عينيهـا، أمـا أنـا فقـد قلـت مـا قلـت بهـدف فتـح حـوار معهـا لتبـادل الحديـث، ولكـن عندمـا شـاهدت الدمـوع في عينيهـا شـعرت تجاههـا بالشـفقة، فقلـت:

"لم أقـل ذلـك لأني غضبـت منـك، والغريـب أنـك أنـت التـي شـعرتِ بالغضـب، أنـا فقـط أردتُ توضيـح أنـك تغـيرت مـن ناحيتـي ولا تتحدثـين إليَّ عندمـا نتقابـل ولا تأتـين للعـب معـي، مـما أصابنـي بالوحـدة والحـزن، لذلـك أدعـوك إلى الحضـور إلى حجـرة مذاكـرتي مـن حـين إلى آخـر لنلعـب معًـا، تجاهـلي تعنيـف أمـي لـك، وتجاهـلي كلام النـاس، كلامهـم لا يهـم عـلى أي حال".

شـعرت أن مـا قلتُـه لهـا كلام غـير مسـؤول، لا يقولـه إلا الأطفـال الحالمـون، وعندمـا سـمعت "طَـمِ" ذلـك، بـدا عليهـا أن صراعًـا بـين القلـق والفرحـة بـدأ يـدور في داخلهـا، فبـدا عليهـا القلـق تـارة، والفرحـة تـارة أخـرى، واسـتمرت مشـاعر الفرحـة والقلـق تتصـارع، تظهـر وتختفـي، وفي النهايـة فـازت مشـاعر الفرحـة، وبعـد تبـادل عـدة كلـمات انقشـعت السـحابة التـي كانـت تغطـي وجههـا، وعـاد صافيًـا ونـضرًا كـما كان، وعـادت إليهـا حيويتهـا، وأمـا أنـا فقـد امتـلأ قلبـي فرحًـا، وشـعرنا نحـن الاثنـان، أننـا وحدنـا داخـل هـذا الكـون، وبعـد برهـة بدأنـا في جمـع الباذنجـان مـرة أخـرى، كان الحقـل كبـيرًا، ورغـم ذلـك كنَّـا قـد تخطينـا منتصـف شـهر أكتوبـر، وكانـت ثمـار الباذنجـان متفرقـة في أماكـن كثـيرة هنـا وهنـاك، وليسـت متراصـة بجانـب بعضهـا، مـما جعلنـا ننتهـي مـن مِـلء السـلَّتين بعـد عنـاء.

قالت طَمِ: "انظر يا سيد مَض، مشهد غروب الشمس مذهل".

ثـم فجـأة خلعـت قبعتهـا ووضعتهـا عـلى الأرض، ووضعـت كلتـا يديهـا تحـت أنفهـا وبـدأت في الصـلاة. وتغـير لـون الناحيـة الغربيـة مـن السـماء إلى لـون أرجـواني خفيـف، ولكنـه ضبـابي غـير واضـحٍ، وكانـت الشـمس

الحمـراء لا يخـرج منهـا أشـعة واختفـى نصفهـا خلـف الجبـل. ظلَّـت "طَـمِ" تصـلي بخشـوعٍ، وظللـتُ أنظـر إليهـا بحـبٍّ.

سرنـا في طريـق العـودة ونحـن نتحـدث بطريقـة عاديـة كـما كنَّـا مـن قبـل، وعندمـا مررنـا أمـام الأبـواب الخلفيـة للمنـازل، وجدنـا الخادمـة "أُمَـسُ"، تقـف أمـام سـور المنـزل الرابـع وتوجِّـه نظرهـا ناحيتنـا، فقالـت "طَـمِ" لي بصـوتٍ منخفـضٍ:

"من المؤكد أنها سوف تتكلم عنَّا كما فعلت سابقًا".

"دعيهـا تفعـل مـا تريـد، لا أهميـة للتفكـير فيـما تقـول؛ أمـي هـي التـي أمرتنـا بالذهـاب إلى جمـع الباذنجـان".

ومـع كل عقبـة كانـت تواجهنـا، تتكاثـر بـذور الحـب الـذي نما في قلبينا وربطهـما معًـا، وتسـتمر بـذوره في النمـو كلـما تقابلنـا، وبالتأكيـد أن وقـت غـروب ذلـك اليـوم كان فرصـة لنمـو تلـك البـذور أكـثر، وكانـت إصابـة جسـدينا برعشـة حينهـا دليـلًا عـلى ذلـك، ورغـم أن النـاس كانـوا يروننـا معًـا، فإننـا لم نرتكـب مـا يجعلهـم ينظـرون إلينـا باحتقـارٍ، ولا نفعـل مـا يجعلنـا نشـعر بالنـدم، ولذلـك لم نشـعر بعواقـب مـا نفعـل، ولم نفكـر كثـيرًا في إخفـاء مشـاعرنا البريئـة أمـام النـاس، ولـو انتهـت علاقتنـا عنـد هـذا الحـد، لما كنـت ظللـت أتذكرهـا طـوال عـشر سـنوات.

أمـا أمـي، فهـي مثـل كل أم، ابنهـا بالنسـبة إليهـا طفـلٌ لا يكـبر، حتـى وإن كـبر، ومـا حـدث بعـد ذلـك، أن "طَـمِ" كانـت تـأتي إلى حجـرة مذاكـرتي، ولكنهـا كانـت حريصـة ألا يراهـا أحـدٌ مـن أهـل المنـزل وهـي تـأتي، فكانـت تتسـلل في غفلـة مـن الجميـع، ورغـم ذلـك عندمـا تكـون في حجـرة مذاكـرتي، لا تشـعر بالطمأنينـة أبـدًا، بـل كانـت قلقـة دائمًـا، وقـد اعتقـدتُ أننـا عُنِّفنـا سـابقًا، وأن هـذا كان موقفًـا وانتهـى، ولا ضرر أن تـأتي إلى حجـرتي بعـد ذلـك، ولكنـي كنـت مخطئًـا، لقـد كان واضحًـا أن حالتنـا المزاجيـة تغـيرت لعـدة أيـام، واتضـح تأثـير ذلـك عـليَّ بشـدة، لقـد

قلت لها منذ ثلاثة أيام كلامًا غبيًا، عندما طلبت أن تأتي لنتسامر في حجرتي، قلت: إذا غضبت أمي من حضورها إليَّ سوف أتحمَّل أنا عاقبة الأمر، ولكني تيقنت من خطئي بعد ذلك عندما كانت تمكث معي مدة طويلة، كنت أشعر بقلقٍ لا أستطيع تجاهله، فأقول لها:

"يا آنسة طَمِ، اذهبي الآن وعودي في وقتٍ آخر، مكوثك هنا مدة طويلة، سوف يجعل البعض يتحدث بسوء عنَّا".

ورغم أنها كانت تعي ما وراء كلامي هذا، كانت تسألني بدهشة:

"ماذا! هل تتذكر ما قلته منذ عدة أيام! لقد قلت لا تهتمي بكلام الناس، يقولون ما يحلو لهم، تعاليْ إلى حجرة مذاكرتي كي نتسامر، ألم تقل ذلك! هذا ما جعلني لا أعبأ بكلام الناس، حتى ولو كان سخرية مني".

شعرت أننا في ورطة، كلما تقاربنا، زادت مخاوفنا من كلام الناس، مما جعلنا نشعر أننا نرتكب فاحشة، وقد قالت أمي عندما يصل الأطفال سواء ولد أو بنت إلى سن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة لا يصبحون أطفالًا، ولكن هذا مجرد كلام نظري، أما من ناحية المشاعر، في الواقع ما يزال الولد أو البنت اللذان وصلوا إلى ذلك السن، أطفالًا تمامًا، ومنذ ذلك الوقت، عندما تدخل "طَمِ" إلى حجرتي وتشاهدني أقرأ كتابًا أو أتحدث إلى أحدٍ، تمرُّ وهي تنظر أمامها، وتتجاهل وجودي، وفي الواقع ما ذكرته لها منذ عدة أيام بأن لا تطيل المكوث في حجرة مذاكرتي، لم يكن نابعًا من داخلي، ولكن بناء على ما قالته زوجة أخي الأكبر. طبعًا أمي قالت الكلام نفسه سابقًا، ولكن أخي الأكبر وزوجته والخادمة "أُمَسُ" يغتابوننا، بل يسخرون منَّا، وانتشرت الأحاديث عنَّا في القرية، وقالوا رغم أن "طَمِ" أكبر مني بعامين، فإننا ننوي الزواج، وانتقلت إلينا تفاصيل نميمتهم علينا، فتناقشت معها

بخصوص ذلك الأمر، واقترحت عليها أن نبتعد عن بعضنا لفترة، فوافقت، واتخذنا قرارًا بذلك.

مشاعر الإنسان شيء غريب وعجيب، نحن لم نتباعد بناء على قرار أحادي من دون علم وموافقة الآخر، بل تباعدنا بناء على نقاش وقرار اتخذناه معًا، وكنت أنا مَن اقترح الفكرة، ولكنها أذعنت في صمتٍ وفقدت حيويتها وحزنت، وعندما شاهدتها هكذا، شعرت أنا أيضًا بالحزن والشفقة عليها في نفس الوقت، وهكذا كانت مشاعرنا تتقدم إلى الأمام خطوة، وتعود للخلف خطوة، فتعقَّدت الأمور أكثر، وبصرف النظر عن ذلك كله، فقد قضينا أربعة أو خمسة أيام متباعدين تمامًا ولكننا لم نكن كذلك في داخلنا.

وجاء يوم الثالث عشر من الشهر التاسع بالتقويم القمري، وهو يوم يكون في ليلته القمر مستديرًا وجميلًا، لذلك يحتفل الناس بمشاهدة القمر وتناول حبوب الفول الأخضر، وأشرقت الشمس في صباح ذلك اليوم، وكان الجو باردًا لدرجة ما ومليئًا بالندى الناتج عن الضباب، وعوضًا عن ذلك كانت السماء صافية. وكان الاحتفال السنوي لقريتنا يوم الخامس عشر من الشهر ذاته، وعليه فقد كان الغد هو يوم الليلة الكبيرة السابقة للاحتفال، وكنَّا قد اعتدنا أن يشترك جميع أفراد الأسرة في القيام بأعمال الحقل، لذلك نحدد ما سوف يقوم به كل فرد سابقًا، وتفاءلت أنا و"طَمِ"، بأن خروجنا للعمل معًا سوف يجلب لنا السعادة، وتحدد أن يقوم أخي الأكبر وزوجته والخادمة "أَمَسُ" ورجل آخر بقطع أعواد الأرز، على أن ينتهوا من ذلك بسرعة، وتحدد عليَّ أنا و"طَمِ" أن نجمع القطن من الحقول الموجودة وسط الجبال، وكان ذلك بأمرٍ من أمي، ولا يستطيع أي شخص الاعتراض على أوامرها.

ومـن المؤكـد أن الخادمـة "أُمَـسُ" التـي تثرثـر مـن دون وعـي بمـا تقول، وزوجـة أخـي الشريرة، قالتـا معًا:

"مـاذا! الأم ترسـل ابنهـا وطَـمِ معًـا إلى وسـط الجبـال! أكيـد هـذا يعنـي أنهـا كأم سـعيدة ومرحبـة بمـا يحدث".

كنَّـا أنـا و"طَـمِ" سـعيدين مـن أعـماق قلبينـا بذهابنـا معًـا، ولكننـا نشـعر بالخجـل الشـديد أن يشـاهدنا أحـدٌ ونحـن نذهـب إلى وسـط الجبـال، ومـن الناحيـة الأخلاقيـة والعـادات والتقاليـد، لا نسـتطيع أن نظهـر رغبتنـا في الذهـاب معًـا، لذلـك لم أخـرج مـن حجـرة مذاكـرتي قبـل وقـت تنـاول طعـام الإفطـار، وبـدا عـلى "طَـمِ" أنهـا لم تقـم بعمـل الاسـتعدادات الواجبـة للخـروج، بـل كانـت تسـتخدم الوقـت في القيـام بأعـمالٍ ليسـت ذات أهميـة، مـن المؤكـد أنهـا ستشـعر بالضيـق لقـول زوجـة أخـي والخادمـة "أُمَـسُ" عنـا أنـه يبـدو علينـا الفرحـة لذهابنـا إلى العمـل معًـا. بعـد أن اسـتيقظت أمـي مـن نومهـا وجـاءت إلينـا، قالـت:

"اسـتعد يـا مَـصَ للخـروج، وأنـتِ أيضًـا يـا طَـمِ، اسـتعدي بسرعـة، لـو ذهبتـما معًـا للقيـام بالعمـل، سـوف يسـير بسـهولة وسرعـة، ولكـن الطريـق إلى الحقـول يسـتغرق وقتًـا طويـلًا، ولذلـك إذا لم تسرعـا في الذهـاب لـن تسـتطيعا العـودة إلا في وقـتٍ متأخـرٍ مـن الليـل، وأرجـو أن تجتهـدا في العـودة قبـل غـروب الشـمس، وسـوف تقـوم الخادمـة أُمَـسُ بإعـداد وجبتـي غـداء لكـما، وسـوف تتكـوَّن الوجبـة مـن ....".

فعـلًا إنهـا أم لهـا قلـب ينبـض خوفًـا عـلى ابنهـا، وأمـرت الخادمـة أُمَسُ ألا تسـتخدم مكونـات رخيصـة في الوجبـة التـي تعدهـا لــ "طَـمِ"، وقالـت لي أن ارتـدي سروالًا وحـذاءً خفيفًـا وقبعـة كبـيرة مصنوعـة مـن أعـواد القمـح، وقالـت لــ "طَـمِ" أن ترتـدي قفـازات وسروالًا طويـلًا تحـت التنورة، ولكـن "طَـمِ" ارتـدت قفـازات فقـط، ووقفـت مـترددة في ارتـداء الـسروال، ثـم جـاءت إليَّ وقالـت لا أرى أهميـة لارتـداء الـسروال، فقلـت لهـا أن

تخبر أمي بذلك، وبينما كنّا نتحدث استمعت أمي إلى حديثها فقالت باسمة:

"أنتِ من المدينة لذلك لا تريدين ارتداء السروال لأن الفلاحين يرتدونه، ولكني قلت لك أن ترتدي قفازات وسروالًا، لأن يديك وساقيك ناعمتان، وخشيتُ عليكِ أن يصابوا بالجروح بسبب أشواك النباتات وأوراق البوص، ولكن لو لم يرُق لك كلامي، افعلي ما شئتِ".

فاستعدت "طَمِ" للخروج بعد ارتداء مريلة بحزامٍ من الخصر إلى أسفل وصندلًا، وحمل كل منّا مصفاة كبيرة، وحملتُ أنا فقط على كتفي سلة كبيرة وميزانًا ثم خرجت، أما "طَمِ" فقد ارتدت قبعة مصنوعة من البوص على شكل مثلث وأطرافها منحنية إلى أسفل، فنادتها أمي وهي تضحك وقالت:

"عندما تمشين مرتدية هذه القبعة، سوف تكون هيئتك مثل ثمرة عيش الغراب، ارتدي قبعة أخرى، يوجد قبعة جديدة في الداخل".

ثم تنبَّهت "طَمِ" إلى أن الجميع قد سبقونا في الخروج، ولم يضحك أحد على ذلك، فخلعت قبعتها واحمرَّ وجهها من الخجل، ثم حملت القبعة، وألقت التحية على أمي وخرجت مسرعة.

ولأن أهل القرية يتحدثون عنّا بالسوء، شعرنا بالخجل من الخروج والسير معًا، فقررنا أن نخرج من القرية بسرعة، وأن أبدأ أنا بالسير بمفردي وتأتي هي لاحقًا، على أن أنتظرها عند منحدرٍ في نهاية القرية، تحت شجرة "غِنْكُو"، ومن ذلك المكان نستطيع أنْ نرى في الأسفل بعض حقول الأرز؛ حيث لون الأعواد شديد الاصفرار، والندى يغطي الأنحاء كلها، وأحيانًا لا أتذكر إن كان هذا المشهد حقيقيًّا أم أنني كنت أتخيل، كان المشهد يشرح الصدر ويحثُّ على التفاؤل والحيوية والنشاط، وتنبَّهت فجأة إلى وجود "طَمِ" بجانبي، ولم أشعر بمجيئها،

كانـت منحنيـة تجمـع بعـض أوراق شـجرة فـوق تربـة صفـراء، أزاحتهـا أمطـار ليلـة أمـس إلى هنـا.

فقلت لها:

"لم أتنبَّـه حـين وصلـتِ، مـا رأيـك في هـذا الجـو الجميـل! مـا أجمـل هذا الصبـاح".

قالت:

"فعـلًا، غمـرني هـذا الجـو الجميـل بالفـرح، ومنظـر أوراق شـجرة الـ"غِنْكُـو" الخـلاب، دعنـا نكمـل السـير".

عندمـا أمسـكت "طَـمِ" بيدهـا الجميلـة أوراق شـجرة الـ "غِنْكُـو"، ازدادت الأوراق جـمالًا، وعندمـا نزلنـا مـن عـلى المنحـدر، شـعرت بأننـي خرجـت مـن مـكانٍ ضيـقٍ إلى فنـاء رحـب، وسرنـا ونحـن نتحـدث عـن أننـا يجـب أن نـسرع لجمـع القطـن، ونلعـب ونلهـو ونتسـامر ونقـضي وقتًـا ممتعًـا، كان منتصـف الطريـق جافًـا، ولكـن حافـة الحقـول التـي عـلى جانبـي الطريـق كانـت مبتلـة بشـدة مـن أثـر النـدى، وكانـت هنـاك نباتـات كثـيرة يعلوهـا أزهـار متفتحـة، مثـل نبـات "حسـيكة" ولكنهـا كانـت ذابلـة، وكانـت أكـثر النباتـات انتشـارًا نبـات "بيرسـيكاريا"، كـما شـاهدنا الزهـور الصفـراء لنباتـات اللوتـس اليابـاني، وكانـت زهـور الأقحوان البريـة متفتحـة ولكنهـا تنمـو في أماكـن متفرقـة تبعـد بعضهـا عـن بعـض، فتوقفـت بتلقائيـة وقلـت لهـا هـذه زهـرة الأقحـوان البريـة، ولكنهـا لم تسـمع مـا أقـول وهـي تسـير بسرعـة. وضعـت أمتعتـي عـلى جانـب الطريـق لعـدة لحظـات، وقطفـت بعـض زهـور الأقحـوان بسرعـة.

كانـت "طَـمِ" تسـبقني بنحـو عشريـن مـترًا، وعندمـا تنبهـت إلى عـدم سـيري بجانبهـا صاحـت بتلقائيـة متعجبـة:

"ماذا حدث لك!".

وفوجئت بها تعود مسرعة إلى حيث أقف، فقلت:

"لم يكن هناك أهمية لرجوعك تلك المسافة، كنت سأذهب أنا إليك".

"ماذا حدث، لقد اندهشت من عدم سيرك بجانبي، ما هذا! يا لها من زهور جميلة، أهدني نصفها، أنا أحب الأقحوان جدًّا".

"أنا أحب الأقحوان البري منذ صغري، هل تحبينه أنت أيضًا يا طَمِ؟".

"أنا أعشقه، لو جئت إلى هذه الحياة مرة أخرى، أتمنى من كل قلبي أن أصبح زهرة أقحوان بريّة، فأنا أحبها لدرجة عندما أراها أشعر برعشة من فرط حبي لها، ولكني لا أعرف سبب حبي لها إلى هذه الدرجة".

"ألهذه الدرجة تحبينها! لا عجب أنك مثلها".

ثم أعطيتها نصف ما قطفت، فأمسكته ووضعته بالقرب من وجهها، وواصلنا السير مرة أخرى، وقالت:

"لقد قلت يا سيد مَصَ إنني مثل زهرة الأقحوان البرية، ماذا كنت تقصد بذلك؟".

"لم أقصد شيئًا محددًا، شعرت أنك مثلها من دون سبب".

"ولكنك قلت إنك تحبها، أليس كذلك؟".

"نعم، أحبها حبًا جمًّا".

ثم طلبت مني أن نكمل طريقنا وأن أسير أنا في المقدمة وتسير هي خلفي. والحوار العفوي القصير الذي دار بيننا الآن، جعل كلًّا منا يشعر في قلبه، بشعور قوي ذات دلالة عميقة، وقد لاحظت من خلال ملامحها أنها فهمت جيدًا إيحاءات ما قلت، وهنا توقف

الحديث، وسرنا بعد ذلك في صمتٍ، لا نستطيع الكلام، وكان يحزنني انقطاع الحديث بيننا.

وبما أننا صغارٌ، فقد أغوانا الشيطان؛ وعندما قلت إنها مثل زهرة الأقحوان البرية، ثم تبعت ذلك بقول أنا أحب الأقحوان البري حبًّا جمًّا، سمعت ضربات قلبي تتصاعد، وهذا يعني أنني لست مؤهلًا كي أتمادى في كلامي إلى أبعد من ذلك، وشعرت "طَمِ" بالشيء نفسه، فنحن شعرنا بذلك الإحساس بقوة، مما جعلنا لا نستطيع التفوه بأي شيء، فصمتنا وسرنا من دون أن نفتح أفواهنا بأي كلمة.

في الحقيقة، كانت "طَمِ" طفلة مثل زهرة الأقحوان البرية، لم تكن أبدًا ريفية بلهاء، ولم تكن أبدًا همجية في أي شيء تفعله، كانت جميلة المظهر والجوهر وأنيقة وراقية في كل ما تفعل، لم تكن تحمل أبدًا أي شعور بالحقد أو بالكراهية أو أي نوعٍ من المشاعر السيئة تجاه أي شخص، لو نظرتُ إليها من أي جانب ستجدها جميلة مثل زهرة أقحوان برية.

ظللتُ صامتًا لا أتكلم أبدًا، ولكني ناجيت نفسي قائلًا: لو ظللتُ هكذا صامتًا من دون حتى كلمة واحدة، فسوف يكون أمرًا غريبًا وغير مريحٍ لها، لذلك فكرت في قول أي شيء حتى ولو لم يكن عندي رغبة في الكلام.

فقلت: "يبدو عليك التفكير بعمقٍ في شيء ما، لدرجة أنك لم تلتفتي لا يمينًا ولا يسارًا في أثناء السير، بماذا تفكرين؟".

"لم أكن أفكر في شيء".

"أشعر أنكِ تكذبين، إن لم تفكري في أمرٍ ما، فلماذا بدا على ملامحك أنك منهمكة في التفكير، لا يوجد مشكلة تمنعك عن التحدث بصراحة عمّا يجول في خاطرك، حتى وإن لم يكن لديَّ فكرة عنه".

"أنا آسفة يا سيد مَصَ، فعلًا كنت أفكر في أمرٍ ما يشغلني دائمًا، ويجعلني أشعر بحزنٍ شديدٍ، كنت أفكر لماذا سني أكبر من سنك يا سيد مَصَ؟ سني سبعة عشر عامًا، شيء يجعلني أشعر بالحزن".

"ما هذا الهراء الذي تقولينه! أنتِ أكبر مني لأنك وُلِدت قبلي، لأنك عشت سبعة عشر عامًا، أليس كذلك! ما العار في أن يكون سنك سبعة عشر عامًا! العام القادم سوف يكون عمري ستة عشر عامًا، أنت تفكرين في أمور غريبة".

لم أكن طفلًا صغيرًا لدرجة ألا أتفهم مشاعرها التي جعلتها تقول ما قالته، كنت مدركًا ما تقول ولكني تعمَّدت ألا أُظْهِر ذلك، وبالعودة إلى التفكير فيما قالت، يبدو أنها فعلًا تفكر بعمقٍ شديدٍ في ذلك الأمر، بدليل أنها تحاشت النظر إلى وجهي وأنا أتحدث معها، ونظرتْ إلى الجانب الآخر.

وكنت كلما حاولت تخطي الكلام عن نقطة السن تعود إليها، وعليه ظل الحديث يدور عن تلك النقطة فقط ولم يتطور إلى شيء آخر، ولو كان أحدنا يضغط على الآخر كي يتخطى تلك النقطة لتخطيناها، ولم نفعل ذلك، وظل الحديث متمحورًا عن تلك النقطة، وكلانا يعرف ما في أعماق قلب الآخر، ولو كان أحدٌ منَّا يمتلك القليل من الشجاعة لتخطينا حاجز الكلام بالطريقة غير المباشرة، وتحدثنا بطريقة مباشرة، وأصبح هناك تطور في المحادثة التي بيننا، وفتحنا قلبينا لبعضنا وتحدثنا بصراحة عمَّا يخفيه كلٌّ منَّا في أعماق قلبه، ولكن بما أننا ما زلنا طفلين ومشاعرنا طفولية، فلم نمتلك الشجاعة التي تدفعنا إلى كسر حاجز التلميح والدخول إلى أعماق القلوب، ورغم أنه كان يجب التوقف عن التحدث في هذا الموضوع، بما أنه كان حديثًا سطحيًّا وعقيمًا، فإنني لم يكن عندي نية قوية لفعل ذلك، بمعنى أن هذا الحب كان في بدايته، وكانت بذوره ما زالت في مرحلة

النمـو والانتشـار، وكلـما وصلنـا إلى نقطـة تحتـاج إلى شـجاعة للمصارحـة، تلعثمنـا وتوقفنـا عـن الـكلام، ولا نعـي مـاذا يجـب أن نفعـل.

سرنـا مئـات الأمتـار في الطريـق وكلٌّ منّـا يناجي نفسـه، ويشـعر بالخجل مـن أن يبـدأ هـو في فتـح موضـوع للـكلام، مـا دار بيننـا مـن كلـمات كانـت قليلـة، ولكنهـا حملـت في داخلهـا، مشـاعر لا حـصر لهـا، مشـاعر خجولـة ولكنهـا تـدل عـلى فرحـة لا يمكـن التعبـير عنهـا بالكلـمات، تلـك الفرحـة جعلتنـا نسـير بسرعـة كأن أرجلنـا لا تلامـس اليابسـة، فتخطينـا حقـول الأرز بسرعـة، ثـم عرجنـا عـلى الطريـق المـؤدي إلى الجبـال المنشـودة، وحينئـذٍ انفرجـت أساريـر "طَـمِ"، وقالـت بحماسٍ:

"لقـد وصلنـا إلى منتصـف الطريـق، أليـس كذلـك يـا سـيد مَـصَ؟ لقـد قلـت لـك إن المسـافة إلى حقـول جبـال "أُوُنَجَصَكُ" نحـو أربعـة كيلومترات، أليـس كذلك؟".

"نعـم، بدقـة إنهـا قرابـة سـتة كيلومـترات، وقـد تخطينـا نصف المسـافة، هيا نرتـاح قليلًا".

"لا أشـعر برغبـة في الحصـول عـلى راحـة، لقـد نلـتُ عقـابي مـن عـدم الاسـتماع إلى نصيحـة خالتـي، بـأن جُرِحـت يـداي بشـدة هكـذا بسـبب البـوص، مـن فضلـك لـف عليهـا هـذه".

كانـت توجـد بعـض الجـروح في منتصـف أصبـع الإبهـام، ولكـن عـلى عكـس المتوقـع، كان هنـاك نزيـفٌ غزيـرٌ، فمزقـت الورقـة التـي حصلـت عليهـا منهـا بسرعـة ولففتهـا عـلى الجـروح، وعندمـا نظـرت جيـدًا إلى كلتـا يديهـا وجـدت لونهـما أحمـر، فشـعرت بالحـزن عليهـا، ولأنهـا قالـت إنهـا ترغـب في أخـذ قسـط مـن الراحـة بعـد الوصـول إلى الحقـول، لأن ذلـك أفضـل مـن الاسـتراحة هنـا وسـط الجبـال، فسرنـا بسرعـة، وهـي في المقدمـة، ووصلنـا إلى حقـول جبـال "أُوُنَجَصَـكُ"، بعـد السـاعة الثامنـة بقليلٍ.

منذ عشر سنوات ماضية، طلب أحد أقاربنا في القرية المجاورة لقريتنا من أبي الذي كان وقتها يتمتع بصحة جيدة، أن يشتري منه هذه الأرض، فلم يجد أبي مفرًّا إلا أن يفعل ذلك فاشتراها. وهي تتكوَّن من حقل مساحته نحو ثمانية آلاف متر مربع، وغابة أشجار مساحتها نحو مئتي متر مربع، وهذه المنطقة التي يقع فيها الحقل، هي هضبة تتكون من جبال تحتوي على غابات، والفاصل بين تلك الغابات هو الحقل، وكانت أمي تقول دائمًا، امتلاكه لذلك الحقل يجعلنا في وضعٍ جيدٍ أمام الناس، ولكنه يحتاج إلى مجهودٍ كبيرٍ، وفي الوقت نفسه ليس مربحًا بالقدر الكافي.

وهذا الحقل محاطٌ من ثلاث جهات بالغابات، وفي الجنوب متصلٌ بحقلٍ آخر، الناحية الشمالية مرتفعة، والناحية الجنوبية منخفضة انخفاضًا مائلًا. وكما توقعت أمي فقد كانت زهور القطن متفتحة وفي آخر أيام جمعها، وإن هبَّت الرياح فسوف تبعثرها. وكانت أشعة الشمس تسقط على زهور القطن البيضاء المنتشرة هنا وهناك في جميع أنحاء الحقل، فتلألأت الزهور وأصبح منظرها خلّابًا.

ولأن "طَمِ" فتاة رقيقة، فقد نظرت بسعادة إلى القطن المتفتح الجميل وقالت:

"ما هذا! زهور القطن متفتحة إلى آخرها، حضورنا اليوم لقطفها كان قرارًا صائبًا".

وكانت تقف في منتصف الحقل شجرتا باولونيا أوراقهما على وشك السقوط، ولكنهما سوف يستمران في الاحتفاظ بأوراقهما، لقدرتهما على تحمُّل حرارة شهر أكتوبر، فأزحنا ما تحتهما من أوراق أشجار ووضعنا أمتعتنا، وعلَّقنا وجبتي طعام الغداء فوق الفروع. ورغم أن الجو كان جميلًا، فإننا سرنا بسرعة، فعرِقنا وشعرنا بارتفاع حرارة الجسم، فخلع كل منا رداءه الخارجي كي يمر الهواء إلى داخل ملابسه، وجلسنا ومددنا

أرجلنا. وكانت السماء شديدة الزرقة، والغابات تملؤها أشجار الصنوبر خضراء اللون، وعصافير الصرد تغرد هنا وهناك، وكانت الجبال هادئة لدرجة أن صدى صوت العصافير كان يتردد في الأنحاء جميعها، وبين السماء والأرض ووسط الحقول الرحبة تبادلنا أطراف الحديث.

وبعد أن مسحت العرق من وجهي ورقبتي، نظرت إلى وجه طَمِ وقلت:

"إن اليوم فعلًا كأنه يومٌ من أيام الجنة، ألا تعتقدين ذلك".

"نعم، أشعر أنني في حلم، ولكني في أثناء خروجي اليوم من المنزل كنت أشعر بضيق، زوجة أخيك الأكبر كانت تنظر إليّ بطريقة غريبة، والخادمة "أُمَسُ" تعاملت معي ببرودٍ، لقد اندفع الدم إلى رأسي من الغضب، ولكنك يا سيد مَصَ، كنت تتصرف بطريقة عادية كأن شيئًا لم يحدث، مما جعلني أشعر بالضيق منك".

"أنا تصرفت بطريقة عادية! طبعًا لا، بدليل أنني كنت لا أريد مقابلة أهل القرية، ولذلك خرجت قبلك من المنزل وانتظرتك تحت شجرة الغِنْكُو، ولنترك هذا الموضوع يا طَمِ، ونفكر في الآن، دعينا نلهو ونتسامر ونقضي وقتًا ممتعًا، فسوف ألتحق الشهر القادم بالمدرسة المتوسطة في المدينة، ولم يتبقَّ إلا خمسة عشر يومًا فقط، وأعرف أن كلامي التالي ربما يكون سخيفًا، ولكني أشعر أن هذا اليوم، هو اليوم الأخير الذي سوف نكون فيه معًا، ألا تشعرين بنفس الشعور؟".

"هذا ما كنت أفكر فيه طوال الطريق، ولذلك قلت لك منذ قليل إنني أشعر بحزنٍ شديدٍ، ولكنك ضحكت وتوقفت عن الكلام".

ودائمًا عندما أدعوها إلى قضاء وقت ممتع، ثم نبدأ في الكلام، للأسف تتحول حالتنا من البهجة إلى الحزن والكآبة، ثم مسحت "طَمِ" دموعها، وفي تلك اللحظة سمعنا أصوات اصطدام بالبوص تحدث ضوضاء تأتي من ناحية الطريق الجبلي الموجود في الناحية الغربية،

وإذا برجلٍ يخرج علينا وهو يغطي وجهه ويسحب حصانًا يحمل حطبًا، وعندما نظرت إليه بإمعانٍ، شعرت بالدهشة، أنه رجلٌ من قريتنا ويُدعي "تْسُنِكِتْشِ"، إن ذلك الصفيق سبق له أن دعا "طَمِ" عدة مرات أن تصاحبه بمفردها إلى الناحية الأخرى من شاطئ النهر لتلهو معه، شعرت بالضيق لحضور شخص مثله إلى حيث نجلس، وإذا به يتجه بالحديث إلينا قائلًا:

"كيف حالك سيد مَصَ، الجو جميل جدًّا هنا. هل جئتما اليوم كزوجٍ وزوجة من أجل جمع القطن، منظركما معًا يوحي بالكثير".

ثم ضحك، فقلت:

"من! السيد تْسُنِكِتْشِ! يبدو أنك جئت اليوم من أجل الحصول على أجر حصانك الذي تؤجره للآخرين، وتبدو بصحة جيدة أيضًا لأنك استيقظت مبكرًا".

فقال ساخرًا: "نعم من أجل ذلك وأسباب أخرى، أردت التنزه قليلًا، لأني دائمًا لا أستمتع إلا بالتنزه واحتساء الخمر، أنت يا آنسة طَمِ تجعلينني أشعر بالغيرة، هذا جرم عظيم".

ثم ضحك، شعرت أنه شخص لا يعرف معنى الاحترام، فآثرنا السلامة وعدم الدخول معه في مشادات وابتسمنا كمجاملة، إلى أن تركنا وذهب، ثم قلت لها:

"إنسان أحمق، إني أكرهه جدًّا، هيا نبدأ العمل يا آنسة طَمِ، أرجو أن تنسي ما قاله، لا يجب أن نجعل كل صغيرة وكبيرة تُحزِننا، أنا سوف ألتحق بالمدرسة في مدينة تْشِبَ، إنها بعيدة جدًّا عن قريتي، ولو فكرت في العودة إلى القرية، لن أعود إلا في إجازة رأس العام، وغير ذلك ليس أمامي إلا مساء يوم السبت والأحد فقط".

فقالـت: "أنـا حقًّـا آسـفة أنَّ وجهـي تجهـم، إن هـذا الرجـل المدعـو تْشُـنِكِتْشِ، رجـلٌ بغيـضٌ".

ثـم رفعـت "طَـمِ" الثـوب عـن سـاعديها، ونزعـتُ أنـا قميـصي وأقبلنـا عـلى العمـل بهمـة ونشـاط، واسـتطعنا أن ننجـز ثلثـي العمـل في نحـو ثـلاث سـاعات فقـط، ولأن مـا تبقـى مـن العمـل كان قليـلًا، قررنـا أن نتنـاول وجبـة الغـداء، فرجعنـا إلى ظـل الشـجر، ومـن أجـل شرب المـاء قلـت لـ "طَـمِ":

"سـوف أذهـب لآتي بمـاء، احـرسي أمتعتنـا، وفي طريـق عـودتي سـوف أقطـف عنبًـا أحمـر وأجمـع لـك ثمـار فاكهـة أكيبيـا كهديـة".

فإذا بها تقول:

"ولكنـي لا أريـد أن أظـل بمفـردي هنـا، خـذني معـك يـا سـيد مَـصَ، أشـعر بقلـقٍ شـديدٍ أن يـأتي شـخص غريـب الأطـوار مثـل الـذي جـاء منـذ قليلٍ".

"ولكـن يـا آنسـة طَـمِ، أنـا سـوف أذهـب إلى الناحيـة الأخـرى مـن جبلٍ واحـدٍ فقـط؛ حيـث يوجـد هنـاك عـين مـاء نقيـة، والطريـق الذي سأسـلكه ليـس كـما تتوقعـين، سـوف تسـيرين وسـط البـوص والأشـواك وسـوف تصـاب قدمـاك كثـيرًا بجـروحٍ، لـو لم آتِ بمـاء لـن نسـتطيع تنـاول الطعـام، طلبـك سـوف يضعنـا في ورطـة، أعتقـد أنـك تسـتطيعين الانتظـار هنـا يـا آنسـة طَمِ".

"إذن سـأتبعك، أتركنـي أذهـب خلفـك، إذا كنـتَ تسـتطيع أن تسـلك ذلـك الطريـق، فأنـا أيضًـا أسـتطيع أن أسـلكه، لا أريـد أبـدًا أن أظـل وحـدي هنـا".

"بعـد أن جئـت هنـا إلى هـذه الجبـال تحوَّلـتِ إلى طفلـة تطلبـين التدليـل يـا آنسـة طَـمِ، حسـنًا، هيـا نذهـب".

ثـم أخفينـا الطعـام وسـط شـجيرات القطـن، وارتدينـا ملابسـنا الخارجيـة وبدأنـا في السـير، فانفرجـت أسـارير "طَـمِ" كثـيرًا. إن نظرنـا إلى طلبهـا هـذا مـن زاويـة أخـرى، سـوف نجـد أنـه طلـبٌ سـخيفٌ أو أنـه طلـب يدعـو إلى الشـفقة، ورغـم عـدم اقتناعـي بمـا قالـت في الدفـاع عن وجهـة نظرهـا، فإنها كانـت مصممـة عـلى موقفهـا، وشـعرت بفرحـة لا حـدود لهـا عندمـا حققت مـا تريـد، ولم يكـن الطريـق الـذي سنسـلكه مرتفعًـا كثـيرًا عـن سـطح الأرض، ولكننـا سـوف نضطـر إلى إزاحـة البـوص الـذي يقـف أمامنـا عقبـة للسـير، ونتكـئ عـلى جـذور الأشـجار كي نتسـلق الأماكـن المرتفعـة التـي سـتقابلنا، وأحيانًـا سـوف أضطـر إلى أن أمسـك يدهـا وأسـحبها كي أسـاعدها.

ومـن خـلال مـا وصلـت إليـه مشـاعر كل منـا تجـاه الآخـر في عـدة الأيـام الأخـيرة، أقـول إننـي لا أسـتطيع رفـض أي طلـب لـ "طَمِ" مهـما كان، ولا هـي تسـتطيع رفـض أي طلـب لي، ورغـم وصـول العلاقـة إلى مرحلـة أن يفكـر كلانـا في فعـل كل مـا هـو ممكـن للآخـر بغيـة أن يرضيـه تمامًـا حتَّـى يمـل، لم تتشـابك أيدينـا أبـدًا لأي سـببٍ مـن الأسـباب ولا حتـى مـرة واحـدة، ولكـن اليـوم وبمحـض الصدفـة، تشـابكت أيدينـا، ولـن يعـرف شـعور تشـابك الأيـدي لأول مـرة، إلا مَـن مـرَّ بتلـك التجربـة.

قلـت لهـا: "انظـري يـا طَـمِ، مـن هنـا تسـتطيعين رؤيـة عـين مـاء نقيـة هنـاك، مـن فضلـك انتظـري هنـا وأنـا سـوف أذهـب لآتي بالمـاء وأعـود، وبمـا أنـك سـوف تراقبيننـي، لا خـوف عليـك أن تظـلي هنـا بمفـردك".

"واضـح أننـي أسـبِّب لـك ضيقًـا، آسـفة أننـي تصرفـت كطفلـة، سـوف أنتظـر هنـا، مـا هـذا! توجـد أشـجار عنـب أحمـر".

ذهبـتُ وحصلـت عـلى المـاء، وعلقـت القـارورة عـلى خـصري، وبحثـت قليـلًا، فوجـدت أشـجار فاكهـة أكيبيـا، فقطفـت نحـو أربعـين ثمـرة، ثـم أخـذت فـرع عنـب أحمـر، وخمسـة فـروع مـن زهـور جنطيانـا الجميلـة ورجعـت إليهـا. وكان طريـق العـودة منحـدرًا قليـلًا فسرنـا فيـه معًـا مـن

دون عقبات، وعندما وصلنا إلى الحقول شاهدت زهور أوركيد كبيرة، فقلت لها:

"يا آنسة طَمِ، خذي فاكهة أكيبيا والعنب الأحمر واسبقيني، سوف أنزع بعض شجيرات أُكُرِ وألحق بك".

"أُكُرِ! ما هذ الشيء؟ أليس هو الأوركيد؟".

فضحكت وقلت: "أنت من المدينة، تقولين كلامًا متحضرًا مثل كلمة أوركيد، ولكن الفلاحين في قريتنا يطلقون عليها أُكُرِ، سوف نستخدمها في صنع مرهم لعلاج تشققات البشرة".

"اليوم أسلوبك في الكلام يتصف بالجرأة".

ومن بين المتع التي يتمتع بها مَن يذهب إلى الجبال، تناول الوجبة المحمولة هناك، ربما هذا يرجع إلى أن الجبل كمكان طبيعي يؤثِّر إيجابيًّا في الصحة: حيث إن جميع مَن يذهبون إلى الجبل للعمل، يقولون إن الوجبة التي يتناولونها هناك بعد العمل، تصبح لذيذة لدرجة غريبة، وبعد أن أحضرت الماء جلسنا نحن الاثنان لتناول الوجبة التي أشرفت أمي على إعدادها بكل حب، تملَّكني وقتها شعورٌ غير عادي، سعادة ما بعدها سعادة، وبعد أن تناولت فاكهة أكيبيا التي أحبها، وتناولتْ طَمِ العنب الأحمر الذي تحبه، بدأنا في تبادل أطراف الحديث، فقالت طَمِ وهي تضحك:

"لقد أحضرت الأوركيد من أجل صنع مرهم لعلاج التشققات، فهل ستأخذ ذلك المرهم معك إلى المدرسة التي ستلتحق بها في مدينة تْشِبَ؟ وإذا انتهى وأنت هناك ستكون في ورطة! أليس كذلك؟".

فقلت بوجه جاد:

"ماذا تقولين! أنا سوف أهديه للسيدة أُمَسُ، لقد أصابت بشرتها تشققات منذ بداية هذا الشهر، فمنذ عدة أيام جاءت لتسخين ماء

لي للاستحمام وكانت تعاني من آلام شديدة بسبب تشققات في البشرة، فوعدتها أن أحضر لها الأوركيد من هنا".

"أهكذا! لم أكن أعلم ذلك، أنت إنسان طيب، إنها سيدة لا يظهر عليها أنها تكره أحد، ولذلك أحببتها وتصادقنا ولكن في الفترة الأخيرة، ومن دون أي سبب، كانت تتحدث معي بطريقة سيئة، وأصبحت تكرهني بشدة".

فضحكتُ وقلت: "هذا لأنها تغار منك، إن طبيعة المرأة أنها تغار بسرعة حتى من أبسط الأمور، كما فعلتِ أنتِ الآن، عندما قلت لك إنني أحضرت الأوركيد من أجل الخادمة أَمَسُ، فقلت لي إنني إنسان طيب، ولكن ما وراء الكلام أنك شعرت بالغيرة".

"لقد أصبحت جريئًا، وكلما قلت لك شيئًا تقول ما يخالفه، لا أستطيع مجاراتك في الكلام، وإن كان لا يوجد دليلٌ على أنها تغار مني، فإني أشعر بذلك".

"في الحقيقة الخادمة أُمَسُ إنسانة مسكينة، لو لم يحدث لوالديها ما حدث، لما تحوَّلت إلى خادمة في منزلنا، فقد مات أبوها في الحرب، وحزنت أمها على موت أبيها حزنًا شديدًا إلى درجة الموت، وأخوها الأكبر منعزل على نفسه، مما جعل حالها كما رأيت، إنها ابنة شهيد ضحى بحياته من أجل الوطن، يجب أن نعاملها بطريقة لائقة يا طَمِ، وللعلم هي دائمًا تمدحك كثيرًا، ولكن للأسف زوجة أخي الشريرة تعاملها كأنها عبدة لها، الخادمة أُمَسُ فعلًا مسكينة جدًّا".

"وأنا أيضًا متفقة معك في وجهة نظرك، وخالتي دائمًا تقول نفس ما قلته أنت الآن، وإنني أحاول على قدر المستطاع أن أفصل بين عملي والتعامل معها، ما ترده عنا شيء يدعو إلى الحزن، ولكن أحاول أن أتجنب التعامل معها بناء على إحساسي هذا، وأركز في

القيام بعملي، ولو استطعت التعامل معها بحنان كما تفعل أنت سيكون هذا أفضل شيء، و...".

توقفت فجأة عن استكمال الحديث، ثم أمسكت بزهور الـ "جنطيانا" التي كانت ملفوفة بأوراق شجرة باولونيا، ثم غيَّرت الموضوع، وقالت:

"هذه الزهرة جميلة حقًا، من فضلك آتني بها كلما استطعت، لم أكن أعلم أنها جميلة إلى هذه الدرجة، لقد مال قلبي إليها بسرعة، يا لجمالها".

وقامت "طَمِ" المحبَّة للزهور كعادتها بوضع زهور "الجنطيانا" ذات اللون الأرجواني الثقيل بجانب وجهها الأبيض، وبدا عليها أن فكرة ما راودتها، ثم ابتسمت فقلت:

- ماذا حدث يا آنسة طَمِ؟ ما الذي جعلك تضحكين هكذا بمفردك؟
- أنت يا سيد مَصَ، مثل زهرة الجنطيانا.
- لماذا؟

"لا أعرف لماذا، ولكني شعرت أنك مثلها من دون سببٍ محددٍ"، ثم بعد أن انتهت "طَمِ" من قول ذلك، أدارت وجهها الناحيةَ الأخرى وضحكت.

- أنتِ أصبحت شقية جدًا يا طَمِ، هل هذا مقابل تشبيهي السابق لك بأنك كزهرة الأقحوان؟ أنت تقلدينني في أسلوب كلامي، شيء مخيف، ولكن موضوع أنك زهرة الأقحوان وأنا زهرة الجنطيانا، يدل على أننا ثنائي جميل، أنا سعيد أنك تشبِّهينني بزهرة الجنطيانا، وأصبحت أسعد لأنك أحببتها.

وهكـذا قضينـا نحـن الاثنـان وقتًـا ممتعًـا وتبادلنـا الأحاديـث اللطيفـة، وبمـا أننـا في فصـل الخريـف واليـوم قصـير، فقـد بـدأت الشـمس في الانحـدار ناحيـة الغـرب، هنـا نـادى كل منـا الآخـر لبـدء القيـام بجمـع القطـن، وكان العمـل المتبقـي لفـترة مـا بعـد الظهـر ليـس كثـيرًا، ولذلـك لم يسـتغرق إلا سـاعة ونصـف فقـط، ثـم وضعنـا القطـن في السـلال وأعددنـا الأمتعـة، وسـاعد كل منّـا الآخـر في حمـل سـلته عـلى ظهـره، وسـارت طَـمِ في المقدمـة وتبعتهـا، سرنـا بخطـى ثقيلـة، وعندمـا غادرنـا منطقـة الحقـول، ظهـرت ظـلال أشـجار الصنوبـر بعـد أن تـوارت خلفهـا الشـمس.

وعندمـا وصلنـا إلى منتصـف الطريـق، ظهـر ضـوء القمـر ليلـة الثالـث عـشر مـن بـين أشـجار البـوص. الريـاح كانـت سـاكنة والرؤيـة واضحـة إلى حـد ظهـور النـدى عـلى أسـطح الأشـياء، في الصبـاح لم أنتبـه لوجـود زهـور الحنطـة في الحقـول المنخفضـة التـي عـلى غـرب الطريـق، ولكنـي تنبهـت لهـا الآن، كانـت بيضـاء، شـفافة ولامعـة، مثـل الحريـر الأبيـض، وكان الجـو يميـل إلى الـبرودة ويملـؤه صـوت حـشرات صرصـور الحقـل، هـذه الطبيعـة لا يمكـن ألا يكـون لهـا أثـرٌ طيـبٌ في داخلنا.

- أكيـد أنهـكك التعـب، سـواء أسرعنـا أم لا، نحـن تأخرنـا، ولذلـك يمكننـا أن نسـتريح قليـلًا، المناظـر الطبيعيـة هنـا جميلـة.
- بمـا أننـا تأخرنـا كثـيرًا، الأفضـل الآن أن نـسرع أكـثر، أكيـد أهـل المنـزل سـوف يعنِّفوننـا بسـبب التأخُّـر، أنـا قلقـة مـن ذلـك يـا سـيد مَـصَ.
- القلـق الآن لا جـدوى منـه، لقـد تأخرنـا بالفعـل، هيـا نسـتريح قليـلًا، هـذا المنظـر الجميـل للطبيعـة نـادرًا مـا نـراه، نحـن لا نفعـل مـا يـسيء للآخريـن، لا داعـي للقلـق يـا طَـمِ.

كان القمـر ظاهـرًا كأنـه يبعـد قليـلًا عـن سـطح الأرض، فجلسـنا عـلى جـذور الأشـجار التـي عـلى جانـب الطريـق، وكان هنـاك أشـجار تبعـد عنّـا

مسافة اثني عشر مترًا، ولها ظلال، تلك الظلال جعلتها وما حولها تبدو مظلمة بعض الشيء، ولكن الحقول التي على مرمى البصر كانت جلية الرؤية بضوء القمر، وكانت زهور الحنطة البيضاء ظاهرة بوضوحٍ تامٍّ داخلها.

قالت طَمِ: "يا له من منظرٍ خلّاب، هذا جو مناسب لإلقاء الشعر أو الغناء، أي شخص مثلي يجهل القراءة والكتابة، لو سمع شعرًا أو غناء الآن، سوف ينسى قلقه. لو كنت تحفظ شعرًا أو تغني، فهذا هو الوقت المناسب له، ما رأيك أن تغني، غنِّ لي من فضلك".

- في الواقع أنا أستطيع الغناء ولكن قليلًا، إن الغناء أمرٌ صعبٌ ولا أجيده، ولكن المنظر الذي أمامنا جميل، القمر وضوؤه وزهور الحنطة والحقول ونعيق صرصور الحقل، جميعها تتعانق في تكوين مشهدٍ جميلٍ، هيا نغني معًا يا آنسة طَمِ.

نحن الاثنان يجمعنا شعورٌ واحدٌ وهو القلق، بجانب ما نحمله من مشاعر كثيرة في أعماقنا، مما جعلنا لم نتحدث كثيرًا، ثم ظللنا صامتين لا نتحدث، كنّا شاردي الفكر، وفي النهاية كان يجب أن نتحدث، ولو حتى قليلًا، كنت أرغب في التحدث إليها، ولكن أكيد رغبة طَمِ في التحدث كانت أقوى مني، كنّا صغارًا وقلوبنا صغيرة، لم نكن نستطيع البوح بخلجاتها، وبينما كنا شاردي الذهن، إذا بسرب طيور إوز يمرُّ في السماء بالقرب منّا عائدًا إلى أعشاشه، كأنه ينبّهنا إلى العودة بسرعة للمنزل.

سرنا ونزلنا مع الطريق المنحدر إلى حيث حقول الأرز، وعندما شاهدنا أشجار "غِنْكُو"، انتابنا شعور واحد فقط، وهو صعوبة دخول المنزل، وإن كان لا يوجد سببٌ منطقي للشعور بذلك، لكن لم يكن هناك وقتٌ للتردد في مواصلة السير بسرعة، وأخيرًا وصلنا وأصبحنا أمام بوابة المنزل.

قالت طَمِ:

"مـن فضلـك أدخـل أنـت أولًا يـا سـيد مَـصَ، أشـعر بانقبـاضٍ في قلبـي من الدخـول أولًا".

- حسنًا، سوف أبدأ أنا.

تشـجعت ودخلـت مـن بوابـة الحديقـة بطريقـة عاديـة كأن شـيئًا لم يكـن، ومـن خـلال مـا سـمعته مـن أصواتهـم مـن بعيـدٍ، بـدا لي أنهـم كانوا مشـغولين بطعـام العشـاء وكانـوا منهمكـين في الـكلام بطريقـة حماسـية، وكانـت بوابـة المنـزل مـا تـزال مفتوحـة والقمـر يلقـي بضوئـه عـلى مدخـل المنـزل، وعنـد دخـولي مـن بوابـة الحديقـة، تجشّـأت فتوقـف فجـأة الـكلام الـذي كان دائـرًا بينهـم في حجـرة الطعـام، حينئـذٍ وضعـت "طَـمِ" مقدمـة إصبعهـا عـلى كتفـي، ففهمـت مـاذا تعنـي، كان اجتماعًـا حـول الطعـام مصحوبًـا بحديـثٍ سـاخنٍ يتعـرض لنـا.

كانـت تلـك ليلـة الثالـث عـشر مـن الشـهر، وهـي ليلـة الاحتفـال، لذلـك تجمَّعـوا في الحجـرة الكبـيرة للاسـتقبال، وجـاءت أمـي مـن حجرتهـا الكائنـة في آخـر المنـزل، وكالعـادة عنَّفتنـا عـلى التأخـير الشـديد، ولكنهـا لم تعنِّفنـا بشـدة مثـل كل مـرة، فتوقَّعـتُ أن يكـون هنـاك أمـرٌ مـا لم تـصرح بـه، وإلى الآن عندمـا كانـت تعنِّفنـا لم أكـن أشـك في أنهـا تخفـي شـيئًا مـا، ولكـن اليـوم تملَّكنـا إحسـاس أن داخلهـا شـكوكًا مـا نحونـا، ولكنهـا لا تفصـح عنهـا بكلـماتٍ واضحـة، انـزوتْ "طَـمِ" في مـكانٍ مـا داخـل المنـزل ولم تحـضر لمشـاركة هـذا التجمـع، أمـا أنـا فقـد وضعـتُ أمـام الجميـع مـا آتيـت بـه مـن فاكهـة أكيبيـا وعنـب أحمـر، بهـدف أن يتفهمـوا أننـا تأخرنـا بسـبب جمعنـا لهـذه الفواكـة، مـن دون تبريـرٍ بـكلامٍ مبـاشرٍ، ولكـن يبـدو أن ذلـك لم يشـفع لنـا، بـل لم يقتنـع أحـدٌ منهـم عـلى أنـه سـببٌ منطقـي للتأخـير، وظـل الحديـث يـدور بينهـم جميعًـا مـن بدايتـه إلى نهايتـه، متجاهلـين كل منّـا، كأننـا مذنبـان تمامًـا مـن دون أدنى شـكٍّ.

زوجة أخي قالت لأمي: "أنت تتعاملين معهما بتساهلٍ، سمحت لهما بالذهاب إلى الحقول التي وسط الجبال حيث لا يستطيع أحدٌ رؤيتهما، وحتى لو كنتِ قلقة من أن يحدث بينهم شيء وحدث بالفعل، فلن يفيد القلق حينذاك".

يبدو أن هذا ما توصَّلوا إليه في أثناء نقاشهم في حجرة الطعام، أما أمي فكانت تنظر إلينا دائمًا كأطفال حتى اليوم، ولكن بعد هذا الكلام من المؤكد أنها شعرت بخطئها في نظرتها إلينا، ولذلك وجدت أنه لا فائدة من تعنيفنا، وبدا لي أنها قررت أن ترسلني إلى المدرسة في المدينة كي تحل هذه المشكلة، فقالت لي:

"يا مَصَ، كنت أنوي إرسالك إلى المدرسة في شهر نوفمبر، ولكني أراكَ تتسكع فقط، وجودك هنا الآن لا فائدة منه، بعد انتهاء الاحتفال اذهب إلى المدرسة، سوف تسافر يوم السابع عشر، أعد أمتعتك لذلك".

بالنسبة إلى السفر ودخول المدرسة، فكانت هذه رغبتي في الأصل، وليست هناك مشكلة إن كنت سأسافر اليوم العاشر أم العشرين، ولكن المشكلة أن يُقال لي هذا الآن وفي هذه الليلة، لأن ذلك يشير إلى أنهم حكموا علينا كأننا ارتكبنا فاحشة، وأن ذهابي إلى المدرسة فجأة وبسرعة هو عقاب، وطبعًا بالنسبة إلى "طَمِ" وبالنسبة إليَّ هذا شعور مرير، فنحن لم نرتكب إثمًا يدنس شرفنا، إما أن يقرروا ذلك فجأة ومن مجرد شبهات سخيفة لا أصل لها، شيء غريب. وعلى الرغم من ظن السوء فينا، لم يمنحونا فرصة للدفاع عن أنفسنا، وليس لنا الحق في رفع صوتنا عاليًا لتوضيح الأمر، لو كان هذا الكلام قِيل لأمي منذ شهرٍ مضى، ما كانت ستصدق. موضوع الذهاب إلى مدرسة المدينة في الأصل كان بناء على رغبتي، ولكن اعتباري مذنبًا وصدور أمر فجأة بسفري إلى المدرسة، شعور قاسٍ، ولكني لا أستطيع قول ذلك الآن،

فأنا لست ساذجًا لدرجة أن أقول ذلك هذه الليلة. في الواقع أنا لا أستطيع قول ذلك لأنني و"طَمِ" فعلًا وقعنا في حب بعضنا.

لقد وصلت حالتي إلى أن وضعت حاجزًا بيني وبين أمي التي تحبني؛ حيث إني لا أستطيع أن أبوح لها بما في قلبي، وأشعر بالخوف أن يرانا الناس أنا و"طَمِ" معًا، وعندما نكون معًا أمام الناس نتعمد التعامل ببرودٍ، وقد نما الحب لدرجة أنني أشعر به الآن بشكلٍ كبيرٍ، ولكن هل أستطيع الإعلان عن ذلك أمام أمي؟ وكيف أفعل؟ وردًّا على أوامر أمي فكان كل ما قلته:

- نعم سأنفذ أوامرك.

فليس هناك مفرٌّ من طاعة أوامرها طاعة عمياء.

ثم قلت لنفسي:

"لا مشكلة أن أسافر لدخول المدرسة، ولكن ماذا سيحدث للآنسة طَمِ يا ترى؟".

ثم نظرتُ ناحية "طَمِ"، فوجدت الخادمة "أُمَسُ" تأكل فاصوليا خضراء، وبجانبها تجلس "طَمِ" منشغلة بتحسس الحزام الذي على خصرها، وكانت صامتة وتنظر إلى أسفل، وبدا عليها أنها في حالة صحية سيئة، ربما بسبب ما قيل هذه الليلة، فكان وجهها شاحبًا، وعندما رأيتها هكذا، شعرت بالحزن وبرغبة في البكاء عليها، وامتلأت عيناي بالدموع، ولم أستطع الرؤية بوضوحٍ، ولا أعي السبب الذي جعلني أفعل ذلك، ولكني لم أستطع كبح جماح شعوري بأن "طَمِ" مسكينة، ولم تستمر علاقتي الجميلة مع "طَمِ" إلى تلك الليلة، انتهت هذه العلاقة مع انتهاء نهار يوم الثالث عشر، لم نستطع الحديث طويلًا عمَّا شعرنا به من سعادة، وطبعًا لم نستطع الحديث عن أوجاعنا إلا قليل القليل، وأُسدِلت ستائر النهاية على علاقتنا.

اليوم الرابع عشر كان أول أيام الاحتفال، وكنّا مشغولين طوال اليوم إلى أن غابت الشمس، تجاهل أحدنا الآخر، وانشغلنا فقط بالأعمال اليدوية، وتناسينا ما يدور في قلوبنا.

وفي اليوم الخامس عشر والسادس عشر، قبعت في حجرة مذاكرتي ولم أخرج منها إلا لتناول الطعام، وجلست على مقعدٍ خلف منضدة المذاكرة وألقيت صدري عليها لا أفعل شيئًا، شارد الذهن، ولم أفكر إلا في ما سأفعل بالنسبة إلى علاقتنا، عقلي ممتلئ بالتفكير في "طَمِ"، ويصعب جدًّا عليَّ التخلي عن التفكير فيها وأفكر في شيء آخر، وخلال ذلكما اليومين قابلتها بالصدفة نحو أربع مراتٍ، ولم نتبادل الكلام ولا حتى الابتسام، ولكن أعيننا قالت لبعضها كم نحن نشعر بالوحدة والاشتياق إلى بعضنا، ولو كانت مشاعرنا ناضجة قليلًا لتقابلنا وتحدثنا عما يجب أن نفعله في المستقبل، ولكن مشاعرنا لم تكن ناضجة لدرجة فعل ذلك، ولكن في ظهر يوم السادس عشر كتبت لها الرسالة التالية، وعندما جاء وقت غروب شمس ذلك اليوم، أعطيتها تلك الرسالة، وقلت لها أن تفتحها بعد أن أسافر إلى المدرسة.

"إلى طَمِ

منذ أن دخلت حجرة مذاكرتي في الصباح، لم يصبح عندي نية لفعل أي شيء، لا أريد أن أخطو خارج الحجرة، ولا أرغب في قراءة الكتب، ولكني أفكر مرارًا وتكرارًا فيكِ، عندما أكون معكِ، أشعر كأنني أطير فوق السحاب، لا أعرف لماذا أصبحت هكذا. سوف أسافر للالتحاق بمدرسة المدينة، لأنني أرى أهمية لتحصيل العلم، ولكن بالنسبة إليكِ، لا أريد أن أفارقك، يقلقك فارق السن بيننا، ولكني لا أعير ذلك أي اهتمام، سوف أكون لك كما تريدين، أرجو

أن تصدقيني، سوف أغادر غدًا في الصباح الباكر، وسأعود في إجازة الشتاء، ويملؤني الشوق والحنين إلى رؤيتك عند عودتي.

السادس عشر من أكتوبر

مَصّ"

وبما أن الحال يقول إن سفري بسرعة للالتحاق بالمدرسة، هو عقاب، فعندما كنت أسمع أصوات ضحكاتهم أو كلامهم، كنت أشعر بحنقٍ شديدٍ، كلامهم وضحكاتهم بدت لي شماتة فينا، وهذا جعلني أرغب في الرحيل بسرعة إلى المدرسة، وبما أنني عقدت النية على الرحيل بسرعة، فشعرت بالراحة، وخرجت من حالة شرود الزهن ونشط عقلي قليلًا، فتناولت طعام العشاء بشهية، وتبادلت الحديث مع أمي عن أشياء كثيرة تخص الاستعداد للمدرسة، وفي النهاية ذهبت إلى الفراش، وقلت في نفسي:

"أنا أحمق جدًّا، رغم أني طفلٌ صغيرٌ في الخامسة عشرة فإنني لا أفكر إلا في الجنس الآخر، فعلًا أنا أحمق، غدًا في الصباح سوف أسافر للالتحاق بمدرسة المدينة، "طَمِ" مسكينة، ولكني لن أفكر فيها بعد الآن، التفكير فيها عديم الفائدة، لا جدوى منه، يجب أن أفكر فقط في المدرسة".

وفي صباح يوم السابع عشر، كانت الأمطار تتساقط، وكي أذهب إلى مرسى القوارب في منطقة "يَكِرِ"، وضعتُ أمتعتي كلها في حقيبة واحدة وصاحبتني كل من "طَمِ" والخادمة "أُمَسُ" إلى المرسى لوداعي، ومن هنا سوف أذهب عن طريق النهر إلى مدينة "إِتْشِكَوَ"، وكان القارب الذي سينقل المسافرين وأمتعتهم من القرية منتظرًا في المرسى، وكنت

على وشك أن أودع "طَمِ" وأقول لها إلى اللقاء، ولكن توقفت الكلمات في حلقي ولم تخرج، وأعطتني "طَمِ" لفافة، وكانت مرتبكة، تحني وجهها إلى أسفل وتضع يدها على صدرها ثم على ياقة ردائها. وكي لا ترى الخادمة "أَمَسُ" عينيها الممتلئتين بالدموع، وجَّهت ظهرها إليها، وعندما شاهدت منظرها الذي يفطر القلب، لم أستطع كبح جماح دموعي، وبما أن اليوم هو يوم وداعنا، فقد صففت "طَمِ" شعرها بطريقة مختلفة وساحرة، قسمته نصفين، وزيَّنت وجهها بزينة خفيفة، وكانت ترتدي رداء وفوقه معطف بخطوط طويلة وعرضية، والألوان كانت رماديًا وكحليًا، وحزامًا قطنيًا أنيقًا، وترفع كم الرداء بحمالة، كانت اليوم أكثر حيوية وبهاء ورونقًا.

وأتصور أن "طَمِ" منذ يوم الثالث عشر، وحالتها الصحية تسوء بسبب الحزن، وفي يوم رحيلي، كان يبدو عليها أنها تتألم بشدة، مما جعلني أبكي أيضًا على حالها الذي يستدعي الشفقة والتعاطف الشديد، ورغم أن الوضع كان يوحي بالتشاؤم وحدوث ما لا يُحمد عقباه، فإنني وبالطبع "طَمِ" أيضًا لم نتخيل أبدًا، أن ذلك اللقاء سوف يكون آخر لقاء لنا في هذه الدنيا، وقد وصل الشعور بالأسى والحزن عند اللقاء الأخير لدرجة لا يمكن أن أصفها للآخرين، وفرضًا إذا استطعت وصفها، لن يستطيع أحد أن يتصورها أبدًا.

ودون أدنى شكٍّ، أن "طَمِ" كانت تفكر في علاقتنا بعمقٍ أكثر مما كنت أفكر؛ فقد كنت لا يزال أمامي أربعة أو خمسة أعوام إلى أن أتخرج في المدرسة المتوسطة، أما "طَمِ" فهي في سن السابعة عشرة، وإذا أخبرها والدها ووالدتها أن هناك مَن تقدم لزواجها، طبعًا لن تجد سببًا منطقيًا للرفض، وهذا يعني أنها كانت تفكر في علاقتنا من أولها إلى آخرها بكل تفصيلاتها، مما جعلها تشعر بالقلق، أما أنا فقد كنت وقتها لا أفكر في ذلك كله، ورغم مرور أعوام كثيرة على لقائنا

الأخير، لكن مشهد "طَمِ" وهي يبدو عليها الحزن الشديد ما زال حيًّا في ذاكرتي، كأنه كان الأمس.

كان المحيطون بنا وقت وداعنا ينظرون إلينا بضيقٍ، ولكن بالنسبة إلينا، كان كل منّا ينظر إلى الآخر بحزنٍ وتعاطفٍ وشفقة، وفوق ذلك لم نستطع أن نشبك أيدينا ونتبادل الحديث عما سوف نفعله فيما بعد، وقفنا على مرسى القوارب؛ حيث لم تتوقف الأمطار عن السقوط، وكنا نحجب دموعنا عن الآخرين كي لا يرونا ونحن نبكي، ولم نستطع تبادل الحديث، ولا حتى بضع كلمات، وافترقنا فراقًا أبديًّا، حملني القارب الجماد الذي لا يشعر بما أشعر به، منحدرًا بي ناحية المصب في سرعة، وبعد مرور أقل من عشر دقائق، تباعدت بيننا المسافة نحو خمسمائة متر، ومنع الضباب أحدنا عن رؤية الآخر، ولم أستطع نسيان المسكينة التي كانت تشعر بالحسرة والحزن دون أن تنطق بكلمة واحدة، ولم أستطع أن أتجنب التفكير فيها، لقد خشيت أن يغضب عليَّ الرب فيقتلني إذا لم أفكر فيها. وبعد أن كبرت وفكرت في ذلك، قلت لنفسي لم نفكر أن نفعل هذا أو ذاك، لقد كنا صغارًا، فلم نستطع إيجاد مخرج لحل المشكلة، حتى تلك الحكاية الشهيرة للفتاة ابنة بائع الأسماك التي تقول إن في يومٍ ما حدث حريق في بيت بائع السمك، فذهب بعائلته إلى المعبد ليقيم فيه مؤقتًا كمأوى. أحبّت ابنته شابًا من المعبد في أثناء إقامتهم، وبعد انتهاء بائع السمك من ترميم منزله، عاد إليه بصحبة أسرته، وعندما أرادت ابنته مقابلة حبيبها مرة أخرى؛ حرقت المنزل كي يذهبوا إلى الإقامة في المعبد من جديدٍ، أحرقت ابنة بائع السمك منزلها فقط كي تقابل حبيبها، ولكننا لم نفكر حتى في أي حلٍّ، لم يكن لدينا المعرفة والحكمة كي نجاهد من أجل أن نتزوج ونعيش معًا في منزلٍ واحدٍ، إلى هذا الحد كان حبنا طفوليًّا، بريئًا وضعيفًا، لا يستطيع الدفاع عن نفسه، كما كنا

نحـن أيضًـا ضعفـاء ونخـشى أوليـاء أمورنـا، ونخفـي حبنـا عـن إخوتنـا، ولا نسـتطيع أن نُظهِـر دموعنـا أمـام الآخريـن.

وبعـد أن التحقـتُ بالمدرسـة، لم أتوقـف عـن التفكـير في "طَـمِ"، كانـت هـي كل مـا يشـغلني ولا أسـتطيع الانشـغال بـشيء آخـر، وحتـى عندمـا أكـون داخـل المدرسـة، أفكـر فيهـا وأسـأل نفـسي إلى مـاذا يـؤدي التفكـير فيهـا، ثـم أشـجع نفـسي وأحثنـي عـلى ألا أستسـلم وأن أفكـر في حـلٍّ لتلـك المشـكلة، ولكنـي لا أصـل إلى نتيجـة، ولكـن الكلـمات التشـجيعية التـي أذكِّـر بهـا نفـسي بـألا أنسـاها، يجعـل ذكراهـا تحيـا في قلبـي مـرة أخـرى، وعندمـا أكـون وسـط كثـيرٍ مـن الأشـخاص، أنشـغل بهـم، ولذلـك قـررت، قـدر المسـتطاع، ألا أكـون بمفـردي في أثنـاء النهـار، وأمـا في الليـل، لا مفـرَّ مـن عجـزي عـن النـوم، ولذلـك فكـرت في طريقـة لأنشـغل عـن التفكـير فيهـا، وهـي أن أظـل أطـول وقـتٍ ممكـنٍ وسـط النـاس وأن أفعـل أي شيء يجعلنـي أشـعر بالإرهـاق التـام فأنـام، وظللـت أنفـذ تلـك الطريقـة إلى أن جـاءت إجازة الشـتاء.

وعندمـا عـدت إلى قريتـي في اليـوم الخامـس والعشريـن مـن شـهر ديسـمبر، كانـت حديقـة المنـزل مليئـة بحبـوب الأرز الجافـة، وكانـت أمـي قـد وضعـت الفـراش في الشرفـة كي يصبـح دافئًـا بفعـل أشـعة الشـمس، ويبـدو أن صحتهـا تحسَّـنت كثـيرًا في الفـترة الأخـيرة، وعلمـت منهـا أن أخـي وزوجتـه والخادمـة "أُمَـسُ" ورجـلًا آخـر ذهبـوا إلى الحقـل الـذي نملكـه، لتنظيفـه مـن أوراق الأشـجار السـاقطة، وخرجـت مـن فمـي كلمـة "طَـمِ"، ولم يخـرج منـه أكـثر مـن ذلـك، ولكـن أمـي تعمَّـدت أن تتجاهـل الـرد، كنـت متلهفًـا عـلى السـؤال عنهـا، وفي أثنـاء رحلـة عـودتي، كنـت متعجـلًا لمعرفـة أخبارهـا، رغـم علمـي بصعوبـة ذلـك الأمـر، وعندمـا لم أحصـل مـن أمـي عـلى إجابـة، ذهبـت إلى حجـرة مذاكـرتي ونظفتهـا وجلسـت سـاكنًا فيهـا، وكنـت أتوقـع أن تـأتي "طَـمِ" في أي وقـت خـلال النهـار، فانتظرتهـا، وغربـت الشـمس ورجـع الجميـع وتجمعنـا لتنـاول

العشاء ولكني لم أرها، والأكثر من ذلك لم يتحدث عنها أحدٌ، ولا حتى كلمة واحدة، فتوقَّعت أنها عادت إلى منزل أسرتها في مدينة "إِتْشِگوَ"، وشعرت أنهم لا يرغبون في سؤالي عنها، فلم أسألهم أو أتحدث في موضوع آخر، وعندما انتهيت من تناول الطعام، قمت على الفور وذهبت إلى حجرة مذاكرتي.

توقعت أن أرى "طَمِ" في ذلك اليوم، كنت مشتاقًا إلى رؤيتها ولهذا السبب كنت سعيدًا بعودتي إلى قريتي، ولكن بما أنني لم أحقق تلك الرغبة، شعرت بانكسارٍ لا يمكن وصفه بالكلمات وبوحدة شديدة، ورغم ذلك لم يكن لديَّ رغبة في البوح لأي شخص بما في قلبي من حزن وأسى، وأخرجت صورة "طَمِ" وما يذكِّرني بها من أشياء، وظللت أشاهدها، ومع ذلك لم أشعر بالراحة ولم ينشرح صدري، وظللت أفكر فيها فقط، ثم شعرت بالغيظ، غيظ أنني أرغب في وجودها معي، وعدم قدرتي على تحقيق ذلك، وبعد مدة انفرج صدري وذهبت إلى حجرة أمي، وبجانب وسادتها حكيت لها حتى وقت متأخر عن أحوال المدرسة.

واستيقظت نحو الساعة التاسعة صباحًا، وكانت أمي لا تزال نائمة، فذهبت إلى حجرة الطعام، ولم يكن هناك إلا الخادمة "أَمَسُ"، وكانت تنظف الحجرة، أما الآخرون فقد ذهبوا إلى ذلك الجبل الذي نملكه لتنظيفه من أوراق الأشجار الساقطة، فغسلت وجهي، ومن دون تناول طعام الإفطار، ذهبت إلى حقل المنطقة الخلفية من المنزل، وكان هذا الحقل، هو الذي جمعت مع "طَمِ" منه الباذنجان، كان الحقل مليئًا بشجيرات الخضروات التي طالت أفرعها، فوقفت طويلًا، لا أنظر إلى مكان معين، بل كنت شاردَ الذهن، كنت أرى "طَمِ" في خيالي، في قلبي وعقلي، كنت أتخيلها معي في الحقل.

وإذا بصوتٍ يصدر فجأة من خلفي يقول:

"سيد مَص، ما الذي تفكر فيه بعمقٍ شديدٍ هكذا؟".

كانت الخادمة "أُمَسُ" التي تركت عملها وسارت خلفي من دون أن أنتبه، فأجبتها باختصارٍ وسطحية لا يدلّان على حقيقة ما في قلبي، وإذا بها تسحبني من يدي إلى كومة قش وتقول لي اجلس هنا، ثم جلست بجانبي وقالت:

"أشعر بالشفقة على طَمِ، ومتعاطفة معها بشدة يا سيد مَص، إنها مسكينة، في الحقيقة زوجة أخيك شريرة، شخصيتها سيئة لدرجة لا يتخيلها أحد، وأنا أيضًا بسببها كرهت هذا المنزل، كانت تعلم جيدًا أنك سوف ترجع اليوم، فقالت للآنسة طَمِ ما لا يتحمّله أحدٌ، وطردتها من المنزل، لتعود إلى منزل أسرتها في مدينة إتْشِكَوَ؛ حيث قالت لها بسخرية: أنت منتظراه، أليس كذلك؟ كلٌّ منكما متلهف على مقابلة الآخر، أليس كذلك؟ كانت تسخر منها وتنتقدها وتحقِّر من شأنها بالكلام والإيحاءات والتصرفات، مما جعل طَمِ تبكي كثيرًا، كما أنها تكلمت بالسوء عنها مع والدتك، وفي النهاية طردتها أول أمس قبل الظهير، لو كنت تعجلت في الوصول لربما قابلتها. يا سيد مَص، لقد حزنت على طَمِ حزنًا شديدًا، مسكينة، لم تتوقف عن البكاء منذ غادرتَ المنزل، حياتها كانت بكاءً مستمرًا، وكانت تريد أن تكتب لك رسالة، ولكنها لا تستطيع كتابتها بنفسها مما جعلها تشعر بالضيق الشديد، وجاءت إلى حجرتي ثلاث ليالٍ ومعها الورق والقلم وكانت تبكي، وقد أخفت عني مشاعرها في البداية، ولكنها لم تستطع أن تستمر في ذلك، وقد بكيت أنا أيضًا من أجلها كثيرًا".

قالت ذلك ودموعها سيول تتدفق من دون توقف، فشعرت كم هي سيدة رقيقة وعطوفة، كانت تشعر بالغيرة عندما تشاهدنا أنا و"طَمِ" معًا، ولكن لم تحمل في قلبها الضغينة، كانت غيرتها سطحية

ومؤقتة، بدليل أنها عندما كانت "طَمِ" تشعر بالوحدة، كانت تقترب منها وتتحدث إليها، وكانت تفعل معي نفس الأمر.

كما أنها أخبرتني أيضًا، أنه حدث بعد أن غادرت القرية إلى المدرسة، استدعت أمي "طَمِ" وعنَّفتها بشدة.

وذلك ملخص ما قالته عما حدث: كانت زوجة أخي الشريرة تتفوَّه بكلام كثيرٍ يسيئ إلى طَمِ، ولكن كلامها لم يغيِّر ولو حتى قليلًا من حب أمي لها، ولكن أمي غير موافقة على زواجي من طَمِ لأنها أكبر مني بعامين، وانتهزت زوجة أخي ذلك للهجوم على "طَمِ"، حيث قالت لأمي إذا كنت لا ترغبين في زواجهما، لا يجب أن تتركيهما يتقاربان أكثر، يجب التفكير في طريقة لإبعادهما عن بعض، وبما أن زوجة أخي وأمي اتفقتا على رفض زواجنا، فهذا إشارة غير مباشرة إلى زوجة أخي أن تتخذ إجراءاتٍ لإبعاد طَمِ عني، ومن هنا بدأت معاملة زوجة أخي وأمي تجاهها تتغير، وأصبحت "طَمِ" حساسة بطريقة مفرطة، تخشي أن تفعل أي شيء فتهاجمها زوجة أخي أو أمي، ولكن أمام الناس تظهر بمظهرٍ عادي، وفي الواقع كانت طَمِ تنسى كثيرًا، وعندما يستدعيها أحدٌ لا ترد في الحال، وهذا جعل أمي تغضب منها أحيانًا، وبعد أن تركتُ أنا القرية بعشرين يومًا، وكان ذلك في بداية شهر نوفمبر، قررت طَمِ أن تخرج كي تتنزَّه في المراعي والحقول مع بعض الفتيات من القرية، وقد طلبت منها أمي أن تنظف حجرة الاستقبال وتأخذ وسائد الجلوس الموضوعة في حديقة المنزل وتضعها في الخزانة، ثم تذهب مع الفتيات للتنزه في الحقول، ولكن بعد أن نظفت "طَمِ" المكان، لم تضع الوسائد في الخزانة، بل نسيت وذهبت مباشرة إلى التنزه في الحقول، ولسوء الحظ، في أثناء ما كانت تتنزَّه، أمطرت السماء، فتبللت الوسائد وكان عددها عشرة، وعند رؤيتها للمطر تذكرت أنها نسيت وضع الوسائد في الخزانة، ولكن فات الأوان وقُضي الأمر، فعادت مسرعة واعتذرت لأمي، كانت

أمـي تفكـر في تصرفـات "طَـمِ" اليوميـة غـير العاديـة في الفـترة الأخـيرة، ولذلـك قالـت لهـا:

"لسـت غاضبـة عـلى تبلُّـل عـشر وسـائد بمـاء الأمطـار، ولكنـي غاضبـة لأنـكِ لا تهتمـين بعمـل مـا أطلبـه منـك، لم تكـوني هكـذا سـابقًا، أنـت مشـغولة طـوال الوقـت بالتفكـير في موضـوع خـاص بـك، ولذلـك لا تنصتـين إلى مـا أطلبـه منـك ....".

وهكـذا اسـتمرت أمـي في تعنيفهـا، وذهبـت "طَـمِ" بعـد ذلـك إلى أمـي في حجـرة نومهـا وأحنـت رأسـها حتـى كادت تلمـس الأرض واعتـذرت لهـا وطلبـت منهـا العفـو، فعنَّفتهـا أمـي مـرة أخـرى عـلى اعتذارهـا بهـذه الطريقـة الرسـمية، لأنهـم ليسـوا أغرابًـا كي تفعـل ذلـك، فلـم تسـتطع "طَـمِ" تحمُّـل كل هـذا التعنيـف، فانكفـأت عـلى الأرض وانفجـرت في البـكاء. وإذا كان الموقـف انتهـى ببكائهـا حينـذاك، لمـا كان هنـاك مشـكلة، ولكـن "طَـمِ" ظلـت تبـكي طـوال الليـل، وقـد احمـرَّت عيناهـا في الصبـاح بسـبب البـكاء، واسـتيقظت أمـي ليـلًا أكـثر مـن مـرة عـلى صـوت بكائهـا الـذي اسـتمر الليـل بأكملـه، وفي الصبـاح كانـت غاضبـة بشـدة، واسـتدعت الخادمـة "أُمَـسُ" و"طَـمِ" وقالـت بصـوتٍ منخفـض.

"أعـرف أننـي أتكلـم مـع أي شـخص بطريقـة صريحـة مـن دون التفكير في مشـاعره، أو أن كلامـي قـد يجرحـه، وأرجـو أن تكـوني يـا سـيدة أُمَـسُ شـاهدة عـلى مـا سـوف أقولـه لـ طَـمِ الآن. ظلَّـت طَـمِ ليلـة أمـس تبـكي طـوال الليـل مـن دون توقـف، مـن المؤكـد أنهـا شـعرت بالحـزن بسـبب مـا قلته لهـا".

وهنا قالت "طَمِ" وهي تبكي:

"إن الموضوع ليس كذلك".

ولكـن أمـي لم تنصـت إليهـا، واسـتمرت في حديثهـا حيـث قالــت والدمـوع تمـلأ عينـي طَـمِ:

"نعم، أعلم أنني قلت أكثر مما يجب، ولكن لم يكن لدرجة أن طَمِ تحزن إلى هذه الدرجة، لقد شعرت بالضيق الشديد من بكائها هكذا، ليس لأنني أحبها أتغاضى عما يجب فعله، في الأصل هي ليست ابنتي من رحمي، ولكنها كانت تأتي هنا منذ كانت طفلة رضيعة، وكنت أرضعها من ثدي، وأرضع مَصَ في الوقت نفسه من الثدي الآخر بعد ولادته مباشرة، ومنذ جئت يا سيدة أُمَسُ وأنت كما تشاهدين، أنني أقسم كل شيء بينهما بالتساوي، حتى إذا حكت ثوبًا لأحدٍ أحيك للآخر أيضًا، لم أتعامل معها على أنها أقل منه، بل نفس المعاملة، وقد شعرتْ هي أنني مثل أمها التي أنجبتها، لدرجة أن الأغراب كانوا يعتقدون أنهما إخوة، وفي آخر الأمر، لمجرد أنني عنَّفتها مرة تبكي طوال الليل! كان يجب ألا تفعل ذلك، لو سمعت أسرتها في إتْشِكَوَ ما حدث، من المؤكد أنهم سيعتقدون أنني عنَّفتها لدرجة كبيرة جدًّا، لقد شعرت بالأسى لأنها نسيت أنني عاملتها كابنتي طوال عمرها، لمجرد أنني عنفتها مرة، هل طبيعة الإنسان أن ينسى المعروف! يا سيدة أُمَسُ، احكمي بيننا، هل أنا المخطئة أم هي؟".

وعندما سمعت "طَمِ" هذا، شعرت بعدم قدرتها على تحمُّل نفسها ولا الدنيا وما فيها، وفجأة ألقت بنفسها على خصر الخادمة أُمَسُ، وبكت كثيرًا ثم قالت:

"يا سيدة أُمَسُ، اشرحي لخالتي سبب بكائي، أنا لست إنسانة جاحدة كما تعتقد خالتي، أمس بكيت طويلًا لشعوري بأنني كنت مخطئة، ولكن يبدو أن شعوري لم يصل إلى خالتي أبدًا، أرجوك يا سيدة أُمَسُ اشرحي لها سبب بكائي".

وبينما كانت "طَمِ" تبكي، قالت الخادمة "أُمَسُ" وهي تبكي أيضًا مع بكاء "طَمِ":

"لـك حـق يـا سـيدتي أن تغضبـي، ولكنـك عنَّفـتِ الآنسـة طَـمِ بنـاء علـى تصـور خاطـئ نحوهـا، أنـت تعاملينهـا دائمًـا بحـب منـذ طفولتهـا ولذلـك تعرفـين طبيعتهـا جيـدًا، وأنـا هنـا منـذ عـامٍ، وأعـرف أن الآنسـة طَـمِ إنسـانة جميلـة وهادئـة وحنونـة، وهـي لم تحـزن وتبـكي لمجـرد أنـك عنفتِهـا قليـلًا، وإننـي سـوف أقـول كلامًـا ربمـا يكـون غريبًـا، فأرجـو ألا تشـعرا بالضيـق منـي، وهـو أن الآنسـة طَـمِ والسـيد مَـصَ كانـا متقاربـين، ولكـن لسـببٍ مـا وفجـأة افترقـا، وبعـد ذلـك سـاءت صحـة الآنسـة طَـمِ وحزنـت، لدرجـة أنهـا كانـت تتحـسر عندمـا تشـاهد سـقوط أوراق الخريـف، وتمتلـئ عيناهـا بالدمـوع عندمـا تسـمع نعيـق الغـراب، كانـت في وضـع لا تُحسـد عليـه، وضـع تشـعر فيـه بضعـفٍ ووهـن، فـإذا مسَّـها أي شـخص بـشيء ولـو بسـيط كانـت تبـكي، وفي أثنـاء ذلـك عنفتِهـا قليـلًا، فلـم تسـتطع التحمـل، فبكـت، وهـذا مـا أعتقـده بصـدقٍ، الآنسـة طَـمِ ليسـت الإنسـانة التـي تحـزن لهـذه الدرجـة، لمجـرد أنـك عنفتِهـا قليـلًا، ليسـت مـن هـذا النـوع، إنهـا إنسـانة حنونـة وحساسـة ولقـد عنفتِهـا لدرجـة كبـيرة، وإننـي أشـفق عليهـا وأتعاطـف معهـا.

وفي الأصـل فـإن أمـي لا تكـره "طَـمِ"، ولذلـك بعـد أن أنصتـت إلى كلام الخادمـة "أُمَـسُ"، فجـأة انفرجـت أسـارير وجههـا، وقالـت:

"فعـلًا، أنـت عـلى صـوابٍ وأنـا أسـأت الفهـم، أحسـنت توضيـح الأمـر يـا سـيدة أُمَـسُ، لقـد شـعرت بالراحـة الآن وفهمـت مـا تعنـي، لا تبـكي يـا طَـمِ، توقفـي عـن البـكاء، أنـت أيضًـا مسـكينة، فعـلًا لقـد رحـل عنـا مَـصَ إلى مدرسـة المدينـة، سـوف يرجـع آخـر العـام، يـا سـيدة أُمَـسُ، اتـركي عمـل اليـوم وأعـدي لنـا طعامًـا شـهيًا".

وفي ذلـك اليـوم تقـارب الثلاثـة أكـثر مـن مـا مـضى، وأعـددن أطعمـة كثـيرة وشـهية، وتناولـن الشـاي معًـا وتسـامرن، وقضـين وقتًـا ممتعًـا، وكان ذلـك اليـوم بالنسـبة إلى طَـمِ ليـس مثـل باقـي الأيـام، فقـد تعالـت

ضحكاتها وعادت إليها حيويتها ورونقها، وقضت وقتًا ممتعًا، ولكن زوجة أخي كانت تستغل أي وقت فراغٍ لديها فتتحدث إلى أمي دائمًا بالسوء عن طَمِ وتحرضها عليها، إلى أن طردتها أمي، فعادت إلى منزل أسرتها في مدينة إتْشِكَوَ، وإلى هنا انتهى كلام الخادمة "أُمَسُ"، وفي اللحظة التي انتهى كلامها تركتُها فورًا ورجعتُ إلى المنزل.

فهمت جيدًا ما حدث في فترة غيابي بعد أن استمعت للخادمة، أهكذا صارت الأمور؟! بما أن أمي وزوجة أخي اتفقتا عليها، فشعرت هي أيضًا مثلي بعدم وجود مخرج لتلك المشكلة، شعرت بالإحباط، فلم تجد طريقة أخرى غير البكاء، ألهذا الحد عنَّفتها أمي؟! تبكي طوال الليل! وبينما كنت أفكر في كل ما قالته الخادمة "أَمَسُ"، لم أستطع كبح دموعي، سالت دموعٌ ساخنة، وظللت هكذا وأنا شارد الزهن، ولم أستطع تناول طعام الإفطار في ذلك اليوم، وقضيت معظم وقتي في الحقول والمراعي أتسكع هنا وهناك، هائمًا على وجهي.

ثم فجأة شعرت بأنني كرهت المنزل ولا أريد أن أظل فيه أكثر من هذا، وقلت لنفسي لو يمكنني أن أرحل إلى المدرسة قبل بداية العام الجديد سوف أفعل ذلك، ولكني لم أستطع فتحمَّلت وبقيت إلى أول يومٍ في العام الجديد، ثم في صباح اليوم التالي رحلت عن المنزل وعدت إلى المدينة حيث المدرسة.

ولكن في هذه المرة ذهبت إلى مدينة "إتْشِكَوَ" سالكًا الطريق البري، ثم من هناك ركبت القطار إلى مدينة " تْشِبَ"؛ حيث المدرسة، وعندما كنت في مدينة "إتْشِكَوَ" مررتُ بالقرب من منزل "طَمِ"، ولكني شعرتُ بالحرج الشديد من زيارتها، ولذلك لم أفعل، ولو استطاعت هي مقابلتي من المؤكد أن ذلك سوف يسبِّب لها مشكلات، وكلما مررتُ بالقرب من منزلها في أثناء السفر من وإلى المدرسة، أقول لنفسي سوف أمرُّ عليها، ولكني لم أفعل أبدًا.

عندمـا نفكـر في الحيـاة، نجـد أن مشـاعر الإنسـان تتغـير مـن وقـتٍ إلى آخـر، فقبـل العـام المـاضي، كانـت "طَـمِ" تـأتي إلى منزلنـا مـن حـين إلى آخـر، ولـو لم تـأتِ كنـت أذهـب أنـا إلى منزلهـا أيـام الآحـاد، وعندمـا كنـت أذهـب، كنـت أظـل في المنـزل ولا أقابـل أحـدًا غـير أهـل المنـزل، كنـت دائمًـا أنـادي جـدتي، وأقـول:

"يا جدتي، أين طَمِ".

لدرجـة عندمـا كنـت أذهـب إلى منـزل "طَـمِ" كانـت جـدتي بـدلًا مـن أن تنـادي أهـل المنـزل لتبلغهـم بوصـولي كانـت تقـول:

"يا طَمِ، مَصَ قد جاء".

وذلك لأنني لم أكن أتحدث إلا معها.

وكنـت دائمًـا أذهـب إليهـا فـورًا، وغالبًـا كنـت أجدهـا في حديقـة المنـزل تقطـف زهـور الأقحـوان، فكنـت اصطحبهـا مـن دون رغبتهـا إلى ناحيـة البـاب الخلفـي للمنـزل، وأصعـد معهـا عـلى سـلم، ثـم أسـتند إليهـا كي أنتقـل مـن السـلم إلى شـجرة البرسـيمون، فأتسـلَّقها وأقطـع سـت ثمـرات وأنـزل، وعندمـا كنـت أعطيهـا ثـلاث ثمـرات برسـيمون كانـت ترفض وتقـول إن واحـدة فقـط كافيـة لهـا، فآخـذ أنـا الخمـس ثمـرات وأخـرج مـن البـاب الخلفـي وأعـود إلى منـزلي، وقـد انتقـدني أهـل منـزل "طَـمِ" عـلى ذلـك التـصرف، أمـا هـي فكانـت تضحـك ولم تقـل مـا يـسيء إليَّ، وإلى هـذا الحـد لم يكـن بينـي وبـين "طَـمِ" حواجـز، ولكـن بعـد أن تيقنـت مـن أننـي أحبهـا، أصبحـت أشـعر بالخجـل عندمـا أمـرُّ عـلى مدينتهـا.

ولم أرجـع إلى قريتـي في إجـازة الصيـف ذلـك العـام، ولم أكـن أنـوي الرجـوع إلى قريتـي في نهايـة العـام أيضًـا، ولكـن وصلتنـي رسـالة مـن أمـي تطلـب منـي الرجـوع حتـى ولـو يومًـا أو يومـين، فرجعـت ليلـة الواحـد والثلاثـين مـن شـهر ديسـمبر، وكانـت الخادمـة "أُمَـسُ" قـد تركـت العمـل مـع انتهـاء هـذا العـام، ولذلـك لم تكـن موجـودة في المنـزل، وهـذا يعنـي

عـدم وجـود مَـن أرغـب في محادثتـه، فقـررت أن أبقـى أول يـوم في العـام الجديـد وأن أرحـل اليـوم الثـاني، وعندمـا كنـت عـلى وشـك الرحيـل، إذ بأمي تقـول لي:

"لعلمـك "طَـمِ" تزوجـت، تزوجـت في شـهر نوفمـبر مـن العـام الماضي، والـزوج شـخص مـن عائلـة ثريـة جـدًا مـن مدينـة إتْشِـكَوَ".

فرددت عليها بعدم اكتراث، وقلت:

"عُلِم".

عندمـا سـمعت أن "طَـمِ" تزوجـت، شـعرت أن مـا حـدث شيء عـادي، فتعجبـت مـن نفـسي، كيـف لي أن أشـعر بذلـك الشـعور، ولم تتحـرك داخـلي أي مشـاعر تجاههـا حتـى. كـما أننـي توقعـت أن يكـون هنـاك سـببٌ مـا لأن تتخـذ تلـك الخطـوة، وعـلى كل حـال مـا حـدث حقيقـة لا يمكـن إنكارهـا، ومـن دون تفلسـف وبـصرف النظـر عـن الوضـع الـذي كانـت فيـه وأدى إلى أن تفعـل ذلـك، فـإن مشـاعري تجاههـا لم ولـن تتغـير أبـدًا مهـما حـدث. وبـصرف النظـر إن كانـت مـا فعلتـه زواجًـا أم شـيئًا آخـر، سـتظل "طَـمِ" التـي أعرفهـا، ولـن تتغـير مشـاعري تجاههـا أبـدًا ولا حتـى قيـد أنملـة، وأعتقـد أن مشـاعرها تجاهـي لـن تتغـير كذلـك، وثقتـي التامـة بـأن مشـاعرنا تجـاه بعضنـا ثابتـة سـتظل إلى الأبـد، ولذلـك عندمـا سـمعت بأمـر زواجهـا، كانـت مشـاعري ثابتـة ولم تتحـرك، لم تتحـرك لعـدم وجـود مـا يجعلنـي أشـعر بالخـوف، أنـا واثـق بمشـاعرنا تجـاه بعضنـا، ولكـن مـن ذلـك خطـرت لي فكـرة، شـغلتني وتشـغلني حتـى الآن، وهـي أن "طَـمِ" ليسـت في حالـة صحـة جيـدة، مـن المؤكـد أنهـا نحفـت وضعفـت وحالتهـا النفسـية تدهـورت، ورويـدًا رويـدًا نمـا عنـدي شـعورٌ بأنهـا تعيـش في معانـاة شـديدة، وهـذا جعلنـي أفعـل العكـس مقارنـة بالسـابق، في السـابق كنـت أتعمَّـد حـشر نفـسي وسـط النـاس كي أهـرب مـن آلام التفكـير المسـتمر، ولكـن الآن أتعمَّـد الهـروب مـن النـاس، كي

أصبح وحيدًا، وأطلق لنفسي العنان للتفكير فيها، فقد أصبح التفكير فيها يجلب لي النشوة والفرحة والسعادة، فأتذكر عندما كنَّا معًا في حقل الباذنجان، وفي حقل القطن، أحزان ليلة الثالث عشر، والوداع عند مرسى قوارب "يَكِر"، وكنت أفكر في ذلك مرارًا وتكرارًا، وكان هذا يساعدني على مواساة نفسي بنفسي، وكلما فكرت فيها وتذكرتها شعرتُ بانشراحٍ في صدري وراحة نفسية. طبعًا في بعض الأحيان كنت أشعر بحزن وأبكي كثيرًا، ولكن بعد انتهاء البكاء كنت أشعر براحة نفسية، وعلى العكس لم يعيقني التفكير في "طَمِ" عن تحصيل العلم، بل كانت نتائجي الدراسية جيدة، وقد كنت مندهشًا من حدوث ذلك، وإن كنت لا أجد تفسيرًا له، لكن على أي حالٍ، هذا ما حدث في الواقع.

ومرَّت الشهور، شهر تلو الآخر، وجاء يوم الثاني والعشرين من شهر يونيو، وكنت مشغولًا بالتفكير في حل مسائل حسابية صعبة، وإذا بحارس دار إقامة الطلاب التي أسكن فيه، يأتي ويضع ورقة فوق طاولة المذاكرة الخاصة بي، ويقول إنه تلغراف من أسرتي ثم تركني، فقرأت المكتوب وكان "ارجع فورًا"، فأخبرت مدير الدار بذلك، وسافرت في الحال عائدًا إلى قريتي، وكان قلبي يدق بسرعة لأني لا أعرف ماذا حدث، وعندما وصلت، وجدت المنزل هادئًا والظلام يحيط بالمكان لعدم سطوع القمر، وكانوا جالسين في حجرة الطعام لأن الوقت هو وقت العشاء، ولم يكن هناك أي شيء غريب، ما عدا أمي لم تكن معهم، ولكني لم أدخل حجرة الطعام ولم ألقي التحية على مَن بداخلها، بل أسرعت بالذهاب إلى حجرة أمي. كان المصباح إضاءته خافتة، وأمي تجلس على مقعدٍ خلف المنضدة وقد استلقت على جانبها فوق المنضدة، فقلت:

- أمي، هل حدث خطبًا ما؟

- مَن! مَض! لقد رجعت بسرعة! سوف أستيقظ الآن، ولكن من المؤكد أنك لم تتناول الطعام بعد، اذهب وتناول الطعام أولًا.

لم أفهم ما الأمر وكنت قلقًا، ولكن فعلت كما قالت أمي، ذهبت إلى تناول الطعام بسرعة، ثم رجعت إلى حجرة نومها، ربطت أمي حزامًا فوق ردائها ربطة قوية، ثم جلست فوق وسادة، فجلستُ في مواجهتها ولكن لم تقل شيئًا، كانت صامتة وتنظر إلى أسفل، وعندما تفحصت وجهها وجدتها تبكي، كأنها سماء تمطر مطرًا غزيرًا، فقلت:

- يا أمي، ماذا حدث؟

وظللت أحثُّها على أن تتحدث، وفي النهاية مسحت دموعها، وقالت:

- مَض، تحمَّل ما سوف أقوله، طَمِ ماتت، أشعر كأنني أنا مَن تسببت في ذلك.

- متى حدث ذلك؟ وكيف ماتت؟

وظللت أكرر عليها السؤال مرات ومرات، ولكنها كانت تخفي وجهها بكلتا يديها، وتحشرج صوتها وبكت، وظل صوتها يتحشرج وتبكي مرارًا وتكرارًا، وأخيرًا قالت:

- عندما تسمع ما سأحكيه سوف تقول عني إنني أم فظيعة، أرجو أن تتحمَّل ما سوف أقوله، هناك شيء لم أخبرك به، وهو أنني ضغطت على طَمِ كي تتزوج، رغم أنها كانت رافضة للزواج، وللأسف ما حدث كان بسبب ضغطي عليها، حتى لو الفتاة أكبر سنًّا من الفتى، إن كان الاثنان يرغبان في الزواج بإرادتهما، لا يجب على الأهل التدخل في هذا الأمر بحجة أنهم يعرفون أكثر من أبنائهم، ومن حقهم التدخل فيما يخصهم. أنا أم غبية، تدخلت بقوة فيما لا يعنيني، والنتيجة

أن حدث ما حدث ولا يمكن إعادة الأمر على ما كان عليه. ما فعلته فيها يساوي القتل، أرجوك تحمل ما حدث، يا مَض، أنا أريد أن ألحق بها.

ثم بدأت في العويل والبكاء من دون توقف، وكل ما سمعته واستوعبته، أن "طَمِ" ماتت، أما باقي ما قالته، فلم أسمعه ولم أستوعبه؛ وعندما سمعت أن "طَمِ" ماتت، حدثت لي صدمة، أفقدتني استيعاب ما يحدث حولي، لم أستطع سماع أمي التي كانت أمام عيني، ولم أستطع البكاء، وأخذت أسير في المكان ذهابًا وإيابًا، من دون هدفٍ، ودون معرفة بما يجب أن أفعله، وفي أثناء ذلك دخلت زوجة أخي، وقالت:

- لا فائدة من البكاء.

ولكن أمي ردَّت عليها بغير اهتمامٍ، وقالت: اتركيني أبكي، أريد أن أبكي، فآثرت السلامة وصمتت.

تحدثت زوجة أخي قليلًا عن الموضوع، فقالت: العريس من مدينة "إتْشِكّوَ"، ومن عائلة كبيرة وهو معروف بحسن سلوكه وسمعته، وممتلكاته وثروته، وقد كانت له رغبة قوية في الزواج من "طَمِ"، كما أن الخاطبة، كانت علاقتها قوية بعائلة "طَمِ"، وطلبت بإلحاحٍ أن تقبل الزواج منه، ولكنها أصرَّت على الرفض، وأنا كنت أعلم جيدًا ما في داخلها، وسبب رفضها، لكن بالنسبة إليك، فهي أكبر منك سنًّا، وهذه مسألة لن تُحَل مع مرور الوقت، إنها مشكلة دائمة وأزلية مع الحياة، كما أن رغبة أسرة "طَمِ" وكذلك الأهل والأقارب جميعًا كانت أن تتزوج ذلك العريس، وطلب الجميع من أمك أن تستوضح سبب رفضها، فسألتها أمك عدة مرات لماذا لا ترغب في زواج ذلك العريس، ولكن طَمِ بكت ولم تُجِب، فقالت لها أمك إنها إذا كانت متمسكة بالرفض لأنها تنتظر الزواج منك، فإنها سوف

ترفض زواجكم. ثم سألتها إن كانت لديها رغبة في تغيير رأيها بالنسبة إلى الزواج من ذلك العريس بعد أن علمت أن أمنيتها بالزواج منك لن تتحقق، وعندما سمعت "طَمِ" ذلك شعرت بالإحباط، ووجدت أنه لا مفرَّ من الرفض، فاستسلمت ووافقت على العريس كما يرغب الجميع، ومنذ ذلك الحين أصبحت لا تعترض على أي شيء يُقال لها، وتم الزواج في منتصف شهر نوفمبر، ولكنها فعلت ذلك رغمًا عنها، وافقت ظاهريًّا بقولها فقط، ولم توافق من قلبها، وأما العريس فقد شعر بالضيق من معاملتها له، ومع ذلك حملت، ولكن في شهر يونيو سقط الحمل، ولم تستطع استعادة صحتها، بل ساءت صحتها أكثر. وفي يوم التاسع عشر من شهر يونيو فارقت الحياة، وفي أثناء مرضها فكر أهلها أن يبلغوا أمك بذلك، ولكنهم شعروا بالخجل، لأنهم تأخروا في الإبلاغ؛ فقد كانت في الرمق الأخير، فقرروا ألا يخبروا أمك، وعندما كانت "طَمِ" لا تزال على قيد الحياة وتستطيع التحدث، سافرت أمك إلى منزلها في مدينة "إتْشِكَوَ"، ولكن عندما شاهدت "طَمِ"، شعرت أنها تحتضر وأنها سوف تموت، فبكت أمك ولم تتوقف عن البكاء عليها حتى بعد عودتها إلى منزلكم، وكلما تحدثت عن الأمر تقول إنها السبب فيما يحدث، وقد قالت أمك إنها تشعر بأن أيام "صَمِ" أصبحت معدودة، وإنها أرسلتها إلى منزل أسرتها في مدينة "إتْشِكَوَ"، ولكنها هنا الآن ولا تعرف ما يجري هناك، وبعد ذلك ذهبت أمس بالسيارة إلى منزل "طَمِ"، ومن وقت علمها بموتها، تبكي كلما تحدثت، وتقول: أنا المخطئة، أنا السبب في موتها، ولم يستطع أحد مساعدتها على تخطي هذه المحنة. ثم أرسلت إليك تلغرافًا كي تأتي. حال أمك يدعو إلى الشفقة، وكذلك ما حدث لـ "طَمِ" شيء محزن، لقد حدث ما لم يتخيله أحد، ولا نعرف ما الذي يجب فعله لأمك.

سمعت ما قالته زوجة أخي وفهمته، ولكن لم أفهم طلبها مني عما يجب فعله لأمي، سؤال غير منطقي بالنسبة إليَّ، أمي مصابة بحالة

هستيرية، جنون مؤقت، ولا أعرف ماذا يجب أن أفعل لها، ولكن أعتقد أن أول ما يجب التفكير فيه هو تهدئتها ومواساتها، ولكنني لا أستطيع مواساتها، فحالتي أسوأ منها بكثير، أنا جُننت جنونًا كاملًا، فكيف لي أن أواسيها، ليس عندي أي طاقة نفسية لفعل ذلك، وبينما كنت أفكر في هذا وذاك، إذا بأمي تهدأ قليلًا، ثم تبدأ الكلام فتقول:

- يا مَض، أنصت إليَّ، أنا متعجبة على درجة ما كان بداخلي من شر، كيف تجرأت أن أقول لها قولًا فظيعًا مثل ذلك، وطبعًا الآن لا فائدة من الندم، مهما ندمت لن يتغير شيء، لقد قلت لها: أنني لن أوافق على زواجها بك، ولذلك يجب عليها أن تتزوج شخصًا آخر. نعم لقد قلت لها ذلك، طبيعي أنها عندما تسمع ذلك، أن تشعر بأنه لا أمل في الزواج بك، طبيعي أن تشعر بالإحباط، لماذا قلت هذا الكلام القاسي جدًّا لها! آآآه، لقد قسوتُ عليها بشدة، وأحزنتها حزنًا شديدًا، إنها ماتت بسبب ما أظهرته لها من شر، يا مَض، عند طلوع الفجر تذهب فورًا إلى قبرها، وتعتذر لها عما بدر مني من إساءة إليها، هل فهمت! افعل ذلك.

وهنا شعرت أخيرًا بأنني أستطيع البكاء، حتى لو كانت "طَمِ"، فقدت الأمل في الارتباط بي، كان يجب عليهم أن يرسلوا إليَّ كي أراها قبل موتها، ولكن أن يرسلوا إليَّ بعد أن ماتت فهذه قسوة ما بعدها قسوة، كما أنها كانت طبعًا تريد أن تراني، حتى لو كانت تزوجت فهذا ليس عذرًا مقبولًا كي لا يجعلونا نرى بعضنا وخاصة وهي على فراش الموت، أكيد أنها كانت ترغب في رؤيتي قبل أن تموت، شيء محزن للغاية لا يمكن أن يتصوره عقل. عندما أفكر في ذلك الآن أشعر أنني كنت طفلًا ساذجًا جدًّا؛ لقد مررت بمدينة "إتْشِكَوَ" ثلاث مرات، ولكني لم أمر على "طَمِ"، أشعر الآن بالحزن أنني لم أمر عليها، ولكن شعوري هذا لا فائدة منه الآن، وبصرف النظر عن أنها تزوجت أم لا،

كنت أريد أن أقابلها فقط، حتى ولو سألقي عليها نظرة واحدة من بعيدٍ. لقد اندفعت مشاعري شعور تلو الآخر، وعندما قالت لي أمي أن أذهب إلى قبرها، شعرت بغليان في قلبي ورغبة في قتل أمي، وهنا أدركت أنني خرجت من صدمتي ورجعت إلى الواقع.

وقلتُ:

- يا أمي، فعلًا طَمِ مسكينة، ما حدث لها محزن، ولكنها ذهبت ولا يمكن أن تعود، ولذلك لا فائدة من الندم، مهما ندمت لن تعود، ليس في أيدينا شيء إلا أن ندعو لها بالرحمة ونتذكرها بالخير ونواسي أهلها. أنت تقولين إنك أخطأت في حقها، ولكن أنت فعلت ما فعلت بدافع الحب لها ولي، والنتيجة لم تكن كما توقعتِ، فاعتقدتِ أنني وهي كرهناك، نحن كنا نشعر أن مشاعرك نحونا مشاعر فياضة وصادقة تهدف إلى ما تعتقدين أنه خير لنا، ولذلك لم نكرهك أبدًا، وكل ما حدث كان قضاءً وقدرًا، أنا راضٍ بما حدث، وأرجو أن ترضي أنت أيضًا يا أمي، وغدًا باكرًا عند طلوع الفجر سوف أذهب فورًا إلى مدينة إتْشِكَوَ.

فقالت أمي:

- فعلًا، كل شيء في هذه الحياة قضاء وقدر، ولكني هذه المرة ندمت ندمًا شديدًا على ما فعلت، وكما تقول المقولة الشهيرة "الآباء والأمهات حمقى"، فإنني فعلًا حمقاء جدًّا، لأنني ارتكبت خطأ كبيرًا لا يصدقه عقل، أنا كأم كنت متخيلة أنني أعي كل شيء، وبناء على ذلك تصرفت، ولكن تصرفي هذه المرة كان خاطئًا للغاية، وليس أمامي إلا الرب أتجه إليه أن ينقذني مما أعانيه، يا مَصَ، أرجو أن تهتم بصحتك، وقد تذكرت الآن أن طَمِ لم يسبق لها أن عارضتني أبدًا طوال حياتها، كانت فتاة

مطيعة، يجب أن أندم بشدة على ما فعلت، لا أستطيع تحمُّل حزني عليها، مسكينة، عانت كثيرًا، وكنت أريد أن أخبرك بحال طَمِ قبل وفاتها، ولكن لا أستطيع فعل ذلك الآن.

ثم أجهشت بالبكاء مرة أخرى، وكلما تحدثنا شعرنا بالحزن، فلم نجد مفرًّا من ذلك إلا أن ننام جميعًا.

وقد كنت أتحمَّل مشقة حبس دموعي أمام أمي وأخي وزوجته، ولكن عندما رجعت إلى حجرة نومي، دخلت الناموسية وجلست على الوسادة، وانفجرت في البكاء، ولكنني وضعت منشفة على فمي وتركت دموعي تسيل كما تشاء، وظلت دموعي تسيل من دون توقف إلى أن سمعت صوت أمي من الحجرة المجاورة وهي تقول:

- الشروق.

وكنت نائمًا بملابس الخروج التي أتيت بها من السفر، فقمت فورًا وألقيت بعض الماء على وجهي، وخرجت على الفور مسرعًا، وكنَّا في فترة انبلاج نور النهار، فترة ما بين ظهور بعض خيوط النهار وبين الظلمة، فجريت ثمانية كيلومترات كالرياح، وعندما أطلَّت الشمس بنورها من على خط الأفق، كنت أمام بوابة منزل "طَمِ"، ومن على البوابة الخارجية للمنزل، استطعت رؤية الحديقة الداخلية وكذلك الموقد والمطبخ، وسمعت أصوات طقطقة أعواد القمح وهي تشتعل داخل الموقد، ثم ذهبت فوقفت أمام شرفة المنزل، فإذا بسيدة مسنَّة كانت في آخر مكان في المنزل تلمحني بسرعة، وتصيح بصوتٍ عالٍ:

- كِنِيَا، طُمِيَا، تعاليا، لقد جاء السيد مَصَ، شكرًا جزيلًا على حضورك، تفضَّل بالدخول إلى المنزل، فما زال الوقت مبكرًا جدًّا. من المؤكد أنك استيقظت صباحًا وخرجت من المنزل في الحال، هيا احضروا بسرعة، هيا يا كَنِيَا.

فحضر كل من والد "طَمِ" وأمها وأختها الكبرى، فقالوا لي:

- شكرًا جزيلًا على حضورك، كنَّا منتظرين حضورك بفارغ الصبر، تفضل أولًا بالدخول وتناول طعام الإفطار.

ولكني وقفت ساكنًا، لم أدخل ولم أجلس، وبعد برهة قلت:

- - لقد حضرت لزيارة قبر الآنسة طَمِ.

شاهدوا في نظراتي شوقًا وحماسًا إلى زيارة قبرها، فصمت الجميع، وبعد برهة قال أبوها:

- نعم سوف تفعل، ولكن تفضَّل أولًا بتناول الطعام ثم تذهب.

فلم يجد مني استجابة، فقال:

- حسنًا، سوف نذهب جميعًا معًا، ولو أني كنت أفضل أن تستريح وتبدل ملابسك.

فقامت السيدات كي يذهبن إلى القبر ومخاط أنوفهن يتسايل من أثر البكاء، فأخذنا ماءً وبخورًا وزهورًا كثيرة من حديقة المنزل، وقسمنا غصون نباتات أنقولية وغصون نباتات "القنطريون" العنبري وزهور داليا إلى باقات، وكلٌّ منَّا حمل باقة في يده، وسرنا تحت شجرة البرسيمون، ومررنا من الباب الخلفي للمنزل، ثم خرجنا من البوابة الخلفية للسور المكوَّن من أشجار "بودوكاربس"، فوجدنا أشجار القيقب، وسرنا فوجدنا غابة من أشجار الصنوبر، ثم سرنا في حدائق كمثرى، فوصلنا إلى حقلٍ صغيرٍ للأرز، ووجدنا أشجار السرو وأشجار الأرز اليابانية في ركنٍ من غابة صنوبر؛ حيث يوجد هناك الكثير من القبور، وكانت مقبرة عائلة "طَمِ" منفصلة عن باقي المقابر، وتحتل مساحة أرض ما يزيد على عشرين مترًا، ويتوسطها خمس أشجار "إليكس انتيجرا"، وكان يوجد في ذلك المكان المميز قبرٌ جديدٌ، وكان ذلك القبر هو منزل "طَمِ" الأبدي، وبعد أن وضعنا رفاتها في القبر،

ولعدم سقوط الأمطار، فقد كانت الأشياء التي تُستخدم في طقوس ما بعد الدفن، كما هي لم يصبها أي ضرر، ثم تقدمت جدتها، وقالت:

- تفضل يا سيد مَصّ بالقيام بجميع الطقوس بيدك أنت، من أجل طَمِ، ضع البخور على قبرها بنفسك، أنت بالنسبة إليها أفضل من ألف راهب يفعلون ذلك، وتفضَّل قِف أمام قبرها وأدعو لها كما تشاء وخذ الوقت الذي تراه في الدعاء لها، هي في العالم الآخر، ولكن أكيد أنها سوف تكون سعيدة جدًّا اليوم أنك هنا وتقوم بعمل طقوسها بنفسك. كنت أتمنى لك أن تقابلها حتى ولو مرة واحدة قبل أن تغلق عينيها إلى الأبد.

وبينما كان الثلاثة يمسحون دموعهم، كنت أشعل النار في البخور وأضع الزهور وأنثر الماء على قبرها، ثم أحنيت رأسي وصليت إلى أن شعرتُ بالرضا. وإن كان لا حيلة في الموت، ولكني شعرتُ بالندم لأنني كنت أريد أن أقابلها، أو ألقي عليها مجرد نظرة واحدة حتى، في أثناء ما كانت تشعر بالمعاناة وهي مريضة، كنت أريد مقابلتها وكانت هي أيضًا بالتأكيد تريد مقابلتي، أُجبِرت على الزواج، ومن المؤكد أن ذلك جعلها تستحي النظر إلى وجهي، شيء محزن أن يصل بها الحال إلى هذه الدرجة، لقد كانت إنسانة رقيقة ومطيعة، ولذلك عندما ضغط عليها الأهل والأقارب لم تستطع عصيانهم، لو كانت إنسانة جريئة لكانت انتحرت، ولكنها رقيقة ولم تستطع فعل ذلك، ورغم أنها تزوجت، استمرت مشاعري تجاهها ولم تتغير أبدًا، كنت أريد أن أفصح لها عن كلمة واحدة قبل أن تموت، يُقال إن الحياة شر، فهل الشر يصل إلى هذه الدرجة! أنا أيضًا كنت لا أريد أن أعيش وقتها، وبعد ذلك من دون أن أعي خرج من فهمي صوت عويل، وسقطت على ركبتي ويديّ، ثم سقطت على الأرض.

وعندما شاهدوا أن حالي قد وصل إلى هذه الدرجة، بكوا بكاءً حارًّا من دون توقف، وكنت أنا في عالم آخر، ثم بعد فترة تنبهت إلى أني لست بمفردي، حولي آخرون، فوقفت، فقال أحدهم:

- لماذا لم تخبرنا طَمِ أي شيء عن السيد مَصّ!!

فقال آخر:

- لو كنّا نعلم أنهما يفكران في بعضهما، ما كنّا دفعناها بشدة هكذا كي تتزوج.

فردٌ آخر:

- كنت أخمِّن قليلًا عن مشاعرها نحو مَصّ، ولكنني لم أكن أعرف مشاعره نحوها، فضغطت عليها كي تقبل ذلك العريس، رغم أنها كانت كارهة زواجه، صحيح أن مَصّ أصغر منها، ولكن ليس لدرجة أن نضغط عليها هكذا، لقد ضغطنا عليها أكثر من اللازم، مسكينة يا طَمِ.

ثم وضع الثلاثة الزهور على قبرها وأشعلوا بخورًا، ونثروا الماء، وإذا بجدتها تقول لي:

- يا سيد مَصّ، من فضلك قُم باستكمال الطقوس، أنت أكثر من يشعر بها، وأكيد صلاتك ودعواتك سوف تكون مقبولة، يا طَمِ ارجعي إلى الإله راضية، يا طَمِ ارجعي إلى الإله راضية.

فأخرجت ما في جيبي من أدوات طقوس وبدأت في العمل، وبينما أقوم بعمل الطقوس خطرت على بالي فكرة، وهي أن طَمِ كانت تحب زهور الأقحوان البري، فقلت لنفسي كان من المفترض أن آتي بها وأزرعها بجانب رفاتها، ولم لا آتي بها الآن! فنظرت حولنا، واندهشت أنها كانت تنمو بالقرب منا هنا وهناك، ويبدو أن بعض المعزين قد داسوا عليها، ولكن سيقانها ما زالت قائمة وخضراء ونضرة، لقد

دُفِنـت طَـمِ في داخـل منطقـة زهـور أقحـوان بـري، وبعـد أن هـدأتُ قليـلًا غادرنـا المكان.

ثـم قلـت لهـم ردًا عـلى دعـوتي إلى دخـول منزلهـم وتنـاول الطعـام، أننـي لا أريـد تنـاول الطعـام ولا شـاي ولا أي شيء، لأننـي يجـب أن أعـود إلى منـزلي؛ حيـث إننـي سـوف أسـافر غـدًا باكـرًا إلى المدرسـة في المدينـة. واسـتأذنتهم للانـصراف، وعندمـا هممـت للرحيـل، فـإذا بهـم يرفضـون رحيـلي، ويحاولـون إقناعـي بالبقـاء، ثـم قالـت والـدة طَـمِ ويبـدو عليهـا عـدم قدرتهـا عـلى كبـح حزنهـا:

"يـا سـيد مَـصَ، عندنـا مـا نريـد قولـه لـك، لـو تركتنـا هكـذا مـن دون أن تسـمع كلامنـا، لـن نشـعر بالراحـة أبـدًا، أنـا متفهـة جيـدًا مـا تشـعر بـه مـن حـزن وضيـق، لقـد تسـببنا في مـوت طَـمِ بطريقـة حزينـة لأننـا لم نفكـر بجديـة في مشـاعرها تجاهـك، إننـي تسـببت لـك أيضًـا في حـزن، لا يمكـن أن تغفـره، وإني لا أملـك إلا أن أعتـذر لـك اعتـذارًا شـديدًا مـن كل جوارحـي عـلى مـا حـدث، إذا كنـت تشـعر أن مـا حـدث لهـا شيء محـزن، مـن فضلـك انتظـر واسـمع كلامنـا، ثـم اذهـب بعـد ذلـك، وبـصرف النظـر إذا كنـت سـوف تسـافر اليـوم أو غـدًا، لكنـا كنـا منتظريـن حضـورك كي نتحـدث إليـك، ولذلـك أرجـو ألا ترحـل الآن".

عندمـا قالـت والـدة طَـمِ ذلـك، لم أجـد مفـرًا من الإذعـان لهـا، فدخلـت المنـزل حيـث حجـرة الاسـتقبال، وقدمـوا لي طعامًـا وشـايًا ولكنـي تناولـت القليـل إرضـاء لهـم، ثـم جـاء الجميـع، وقالـت جـدة طَـمِ:

"يـا سـيد مَـصَ، بالنسـبة إلى طَـمِ، أنـا أيضًـا لا أملـك إلا أن أعتـذر لـك بشـدة عـمّا حـدث، ولا أسـتطيع أن أرفـع عينـي في عينـك مـن الشـعور بالخجـل، مـن المؤكـد أنـك تشـعر بحـزنٍ كبـيرٍ، ولكـن أرجـو أن تنـسى مـا حـدث، لأنـه أصبـح ماضيًـا، وأن تسـامح وتعفـو وتـرضى بالقضـاء والقـدر،

وإن اعتذارنا لك، هو خير ما نفعله لها الآن، هو خير ما نقدمه على روحها من رحمة، وأكيد هو خير ما يسعدها".

فشعرت أن قلبي امتلأ عن آخره، ولا أستطيع الكلام، وهنا استمرت جدة "طَمِ" في حديثها فقالت:

"أقول لك الحقيقة، والدتك وكذلك والد ووالدة طَمِ لم يكونوا على دراية بأن العلاقة بينك وبين طَمِ، علاقة قوية لهذه الدرجة، لو كنا نعلم ما ضغطنا عليها كي تتزوج شخصًا آخر".

وهنا تدخلت وقلت:

"كانت علاقتنا قوية، ولكنها علاقة لم يمسها ما يشوبها".

فقالت:

"لا أقصد أن أقول إنه كان هناك ما يسوء، ولكني أقصد أن علاقتكما كانت علاقة ودٍّ شديدٍ، ولكننا لم نكن نعلم ذلك، لأن طَمِ كانت طفلة كتومة، فلم تتحدث عنك أبدًا، ولا أقول إننا لم نكن نعرف تمامًا، ولذلك أعتذر عن عدم علمنا بأنها كانت علاقة ود شديد لهذه الدرجة".

فقلت لهم لا أرى ضرورة كي تعتذروا لي، فطلب أبوها أن أعطيه فرصة كي يعتذر لي هو أيضًا فقال:

"فعلًا، ما قلته يا سيد مَصّ حقيقة، وأنا فعلت ما رأيته صوابًا من وجهة نظري الشخصية، وسوف أقول لك ما أراه أيضًا من وجهة نظري، وأرجو أن تنصت إليه جيدًا. ربما لا يكون كلامًا عقلانيًّا، ولا أعرف إذا كان شيئًا جيدًا أن أقول ذلك كأب أم لا. طَمِ ضحت بحبها الذي كان أهم ما في حياتها، من أجل طاعة والديها، فكرت أنها لا يجب أن تتجاهل أوامر والديها، ولذلك ضغطت على نفسها وكبتت مشاعرها ونفذت ما أمرناها به، ولكن ذلك كان أكثر من قدرتها على

التحمل، وكان هذا هو السبب الذي أدى إلى وفاتها، وكما قلت أنت ضمنيًا، أنك لو كنت مكاني في هذا الوضع سوف تحزن ولن تجد ما تفعله، فعلًا هذا صحيح، ولكن ما أريد أن أقوله بالتأكيد أنكما لم ترتكبا ما يشين، ومع ذلك ماتت ابنتي مما جعلني كأب أشعر بحزنٍ شديدٍ، وكما ترى فإن طَمِ كانت ابنة مطيعة، لدرجة أنها فضَّلت الموت على مشاعرها، فإنها لم تتجاهل الانصياع لأوامري ولو حتى مرة واحدة طوال حياتها، ولقد فكرت في هذا الموضوع مليًا، فكرت فيه من جوانب مختلفة وتوصَّلتُ إلى أنني كنت أبًا قاسيًا، لم أفكر في أن لها مشاعر يجب أخذها في عين الاعتبار، تجاهلت مشاعرها كلية. يا سيد مَصَ، من فضلك سامحني، فكما ترى بعينيك، نحن عائلتها نعيش في حزن ليلًا ونهارًا، نرى الدنيا مظلمة دائمًا، ما فعلناه حماقة، ولكن استماعك لحديثنا عن مشاعرنا الحزينة عليها، أفضل عزاء لنا، ويهوِّن علينا فراقها. لقد قلتُ كلامًا يدل على أنني أحمق، وأنني تصرفت بطريقة لا تليق بسني، ولكن أرجو أن تسمع بقية الكلام".

وهنا تدخلت جدتها وتحدثت، وقد بدأ حديثها عن الزواج وتدريجيًا تحوَّل إلى موضوعات صعبة، وكان محتوى كلامها مثل محتوى كلام زوجة أخي، وكان الكلام الذي قالته وقتها كالآتي:

- في اليوم السابع عشر من شهر يونيو، جاء الطبيب، وقال لم يتبقَّ لها على قيد الحياة، إلا يوم أو يومان، فإذا أردتم إخبار الأقارب، افعلوا ذلك اليوم، فأخبرنا أمك، فجاءت صباح يوم الثامن عشر، وفي ذلك اليوم كان يبدو من ملامح وجه طَمِ أنها بخيرٍ، وقد استطاعت أيضًا الكلام، وعندما جاءت أمك قالت لها: لا يجب أن تضعفي هكذا وتستسلمي يا طَمِ، يجب عليك الآن أن تتشجعي وتقاومي كي تتعافي، فابتسمت طَمِ فرحًا وقالت لأمك: شكرًا جزيلًا على معاملتك الجيدة لي دائمًا، هذا معروف لن أنساه حتى بعد موتي، أنا لن أعيش طويلًا.

فقالـت أمـك لهـا: لا تفكـري في ذلـك، لا تستسـلمي، هـذا لـن يحـدث، يجـب أن تكـوني قويـة. وبعـد برهـة مـن الصمـت، قالـت طَـمِ لأمـك: رغبتـي الدفينـة في قلبـي أن أمـوت، لـو مـت سـوف أسـتريح، ثـم قالـت شـيئًا مـا بصـوتٍ خفيـضٍ للغايـة، لدرجـة أنـه لم يخـرج مـن فمهـا، ولم نسـتطع سـماعه، ولكـن مـن المؤكـد أنهـا ذكـرت اسـمك، ولم تنطـق بعـد ذلـك كلمـة واحـدة، كان هـذا آخـر مـا قالتـه، ومـع نهايـة هـذه الليلـة ومـع بدايـة اليـوم الجديـد توقفـت أنفاسـها. وبعـد طلـوع الفجـر حينـما قامـت أمهـا بإصـلاح وضـع الوسـادة التـي كانـت تحـت رأسـها، وجدتهـا تضـع يدهـا اليـسرى عـلى قلبهـا وتقبـض منديـل حريـر أحمـر بداخلـه شيء مـا صغـير، فاجتمعنـا وتناقشـنا مـاذا نفعـل حيـال ذلـك، فقـال أبوهـا ماتـت حزينـة ولكـن لا يُعقَـل أن تمـوت هكـذا مـن دون معرفـة مـا داخـل يدهـا، فقررنـا فتحهـا. ففتحتهـا أمـام الجميـع، فـكان بداخلهـا صورتـك ورسـالة منـك.

ثـم بـدأت جدتهـا في البـكاء وتبعهـا الآخـرون يبكـون ويمسـحون دموعهـم، فنظـرت إلى الأرض وظللـت أحـدق إليهـا، وبعـد برهـة استرسـلت جدتهـا في الـكلام:

- وقـد قـرأت أخـت طَـمِ الكبـيرة تلـك الرسـالة، فبكينـا جميعًـا بصـوتٍ عـالٍ، ورغـم أن أباهـا لا يجـب أن يبـكي لأنـه رجـل، فإنـه بـكى أيضًـا معنـا نحـن النسـاء وبصـوتٍ عـالٍ جـدًا، أمـا أمـك فقـد بكـت بحرقـة وانفعـالٍ، لدرجـة أنهـا كانـت عـلى وشـك الجنـون، أخطأنـا أننـا أجبرناهـا عـلى الـزواج، مـن دون علـم أن مـا بينكـما غـرام قـد وصـل إلى هـذه الدرجـة، آآآه، لقـد فعلـت فعلـة نكـراء، يـا للحسرة والخـزي والعـار، يـا سـيد مَـصَ، اصـبر وتحمَّـل مـا حـدث، أنـا مذنبـة وأرجـو أن تسـامحني، وعندمـا ماتـت، صرخنـا فجـأة صراخًـا يزلـزل الأرض، لدرجـة أن الجـيران جـاؤوا يهرعـون، ويسـألون

عـما حـدث، كـما أن أمـك لم تتوقـف أبـدًا، فخشـيت أن يحـدث لهـا مـا لا يحمـد عقبـاه، ولذلـك بمجـرد انتهـاء العـزاء، اصطحبتهـا بسـيارة إلى منزلهـا، وعندمـا أدركنـا مشـاعر طَـمِ، ندمنـا جميعًـا عـلى إجبارهـا عـلى الـزواج، ولكـن بعـد فـوات الأوان، فحزنـا حزنًـا مـا بعـده حـزن، كلـما فكرنـا فيهـا حزنًـا عليهـا، مسـكينة، لا يتـوف تفكيرنـا فيهـا، ولا الحـزن عليهـا، وعـلى الأقـل، كنـا نريـد أن تـأتي يـا سـيد مَـصَ كي نعتـذر لـك عـما فعلنـاه، وأن تتقـدم أنـت الصفـوف وتقـوم بعمـل طقـوس دفنهـا بيـدك، كي نشـعر بقليـلٍ مـن الراحـة، وهـذا مـا حـدث الآن، أردنـا أن نخـبرك أن طَـمِ لم تغـدر بـك، لم تـتركك، أرجـو أن تتفهـم أن طَـمِ ليسـت جانيـة، بـل مجنيًّـا عليهـا.

ومـع كل كلمـة سـواء، كانـت تُقـال كنـا ننكفـئ عـلى الأرض ونبـكي بحرقـة، وعندمـا سـمعت منهـم أن طَـمِ قالـت إنهـا ترغـب في المـوت، فهمـت جديًّـا، لمـاذا كانـت أمـي تشـعر بتأنيـب الضمـير، وتبـكي بحرقـة.

وهنا قاطعت كلامهم وتدخلت، وقلت:

- أيتهـا الجـدة، أنـا متفهـم كلامـك جـدًّا، فأنـا أعـرف مشـاعر طَـمِ جيـدًا، حتـى عندمـا علمـت أنهـا تزوجـت في ربيـع العـام المـاضي، وبـصرف النظـر عـن زواجهـا أو أي شيء آخـر، أنـا لم أشـك ولـو للحظـة واحـدة أنهـا باعتنـي، بدليـل أن مشـاعري تجاههـا ظلـت كـما هـي ولم تتغـير، وكل مـا قالتـه لي أمـي إن طَـمِ تزوجـت، ولم تتحـدث عـن شيء آخـر، وكانـت تبـكي فقـط طـوال الوقـت، وواضـح أن زواج طَـمِ لم يكـن عـلى أسـاس نيـة سـيئة مـن الجميـع، ولذلـك لم أكرهـا ولم أكـره الجميـع، وأنـا مقتنـع أن كل مـا حـدث كان قضـاء وقـدرًا، وسـوف أحـضر باسـتمرار في الفـترة القادمـة كي أزور قبرها.

وهكـذا ظـل هـذا يتكلـم ثـم يبـكي، وذاك يبـكي ثـم يتكلـم، واسـتمر الـكلام، والبـكاء مـن دون نهايـة، وقـد كنـت قلقًـا عـلى أمـي، لذلـك عندمـا دخلنـا في وقـت الظهـيرة، تركـت منزلهـم عائـدًا إلى قريتـي، وعندمـا رأتنـي أم "طَـمِ"، وأنـا أقـف أمـام قـبر "طَـمِ" في حالـة يُـرثى لهـا، شـعرت بالقلـق عـليَّ مـن العـودة وحيـدًا إلى قريتـي، فاصطحبتنـي إلى مدخـل قريتـي، وكلـما فكـرت في الفاجعـة التـي حدثـت لـ "طَـمِ"، أفكـر أكـثر، لم أسـتطع التوقـف عـن التفكـير عـما حـدث لهـا، ولم أسـتطع التوقـف عـن البـكاء، وكان ضمـير أمـي يهاجمهـا ويؤنّبهـا عـلى مـا فعلـت، فتعتقـد أنهـا ارتكبـت جريمـة كبـيرة، وكانـت تبـدو أمـام عينـي مسـكينة، تسـتحق الشـفقة، ومنظرهـا وهـي عـلى هـذا الحـال جعلنـي لا أسـتطيع كبـح جـماح نفسي مـن البـكاء. وقـد تنبهـت إلى أن منظـري وأنـا ضعيـف أبـكي، سـوف يزيـد مـن أحـزان أمـي، لا أكـثر مـن ذلـك، فقـررت أن أسـتجمع قـوتي وأشـجع نفـسي بنفـسي كي أظهـر بمظهـر المتماسـك، مـن أجـل أن أخفـف عـن أمي تلـك الفاجعـة، ولكـن بمـا أنـه لا يمكـن إظهـار مـا في القلـب، فقـد لاحظـت أمـي أننـي أتظاهـر بأننـي متماسـك، فشـعرت أنـه ليـس أمامـي إلا تـرك المنـزل والذهـاب إلى أي مـكان آخـر.

وكل يـوم ولمـدة أسـبوع كنـت أذهـب إلى قـبر "طَـمِ" في مدينـة "إتْشِـكَوَ"، وأزرع زهـور الأقحـوان البريـة حـول قبرهـا، وفي اليـوم الثامـن فتحـت قلبـي لأمـي وحدثتهـا عـما في داخـلي مـن مشـاعر، بغيـة أن تشـعر بالراحـة والسـكينة والطمأنينـة والهـدوء، ثـم قـررت قـرارًا لا رجعـة فيـه، وهـو أن أرحـل عـن القريبـة متجهًـا إلى المدرسـة في المدينـة.

تزوجـتْ "طَـمِ" دون رغبتهـا، فرحلـت عـن هـذا العـالم بسرعـة، وتزوجـتُ أنـا مـن دون رغبتـي، ولكنـي مـا زلـت حيًـا، ماتـت "طَـمِ" وهـي تضـع يدهـا عـلى قلبهـا ممسـكة بصـورتي ورسـالتي.

رحلت "طَمِ" عن هذا العالم إلى الأبد، ولكنها لم ترحل عن قلبي أبدًا.

نبذة عن المؤلف

الاسم الحقيقي: "إِطُو فُجِرُو".

الاسم كمؤلف: "إِطُو صَتْشِوْ".

الجنسية: ياباني.

تاريخ الميلاد: 18/9/1864.

محل الميلاد: محافظة "تْشِبَ".

تاريخ الوفاة: 30/7/1913.

العمل: صاحب مزرعة وشاعر وقاص.

اللغة التي يستخدمها في الكتابة: اللغة اليابانية.

آخر مرحلة تعليمية وصل إليها: الجامعة (جامعة ميجي).

مجال التأليف: الشعر الياباني المسمى "طَنْقَ" والقصة.

أسلوب الكتابة: رومانسي.

أهـم الأعـمال: زهـرة الأقحـوان البريـة، زوجـة الجـار، مـد وجـزر الربيع، فروع العائلة.

أهم المعلومات عن حياته:

وُلِـد "إطُـو" في قريـة "طُنُـضَي"، التابعـة لمدينـة "صَنْمُـشِ"، بمحافظـة "تْشِـبَ"، لعائلـة تعمـل في مجـال زراعـة الأرض، رغـم أن والـده كان عالمًـا في مجـال الكتابـة باللغـة الصينيـة التـي كانـت تُسـتخدم حينـذاك لتدويـن اللغـة اليابانيـة. كان "إطُـو" محبًّـا للشـعر اليابـاني المُسـمَّى "وَكَ"، وهـو شـعر يتكـوَّن البيـت فيـه مـن مجموعـة مفـردات، المفـردة الأولى مـن خمسـة حـروف والثانيـة مـن سـبعة، والثالثـة مـن خمسـة، والرابعـة مـن سـبعة والخامسـة أيضًـا مـن سـبعة، ولذلـك يُقـال عنـه شـعر 57577، وبعـد أن تخـرّج في المدرسـة الابتدائيـة، واصـل تعليمـه في مدرسـة خاصـة بتعليـم الكتابـة، كي يتقـن فـن الكتابـة أكـثر، وكان محبًّـا لعمـل المناقشـات والمناظـرات، وكانـت شـخصيته حماسـية، وقـد واصـل تعليمـه إلى أن التحـق بالمدرسـة العليـا للقانـون في عـام 1881م، التـي أصبحـت فيـما بعـد مشـهورة جـدًّا في اليابـان، وتغـيَّر اسـمها إلى جامعـة ميجـي، ولكـن في أثنـاء وجـوده في الجامعـة أصيـب بمـرضٍ في عينـه، جعلـه يـترك الدراسـة في الجامعـة بعـد مـرور ثمانيـة أشـهر فقـط، فعـاد للعمـل في المزرعـة وظـل يعمـل كل يـوم مـن الصبـاح الباكـر إلى منتصـف الليـل كي يسـتطيع الاسـتقلال ماديًّـا عـن الأسرة، وحـدث هـذا لاحقًـا، فبعـد مـرور عـدة سـنوات مـن العمـل الشـاق اسـتطاع تكويـن رأسـمال، وافتتـح مزرعة تربيـة ماشـية في سـن السادسـة والعشريـن في مدينـة قريبـة، وقـام بعمـل منتجـات الألبـان مـن نتـاج تلـك المزرعـة وبيعهـا في الأسـواق، وبعـد أن اسـتقرت أمـور العمـل، بـدأ في تعلُّـم فـن كتابـة الشـعر اليابـاني "وَكَ"، وتعلُّـم فـن عمـل طقـوس الشـاي اليابـاني، وتعـرف عـلى الكثـير مـن محبـي تلـك الفنـون، وفي عـام 1898 كتـب نقـدًا في صحيفـة اليابـان عـن شـعر

"وَكَ" التقليـدي، داعيًـا إلى شـعرٍ حديـثٍ، واشـتعلت المناقشـات والجـدل بسـبب مـا كتـب، في عـام 1900 تعـرَّف عـلى الشـاعر الكبـير وعالِـم اللغـة اليابانيـة "مَصَـؤكَ شِـكِ"، وأصبـح مـن أتباعـه، رغـم أن ذلـك الشـاعر أصغـر منـه بثـلاث سـنوات، لكنـه كان يكتـب شـعرًا حديثًـا، وداوم عـلى حضـور صالونـه الـذي كان يُعقـد مـرة شـهريًّا، ثـم كتـب ديـوان شـعر بأسـلوب يسـير يسـتطيع قراءتـه الشـخص العـادي، وذلـك تأثـرًا بــ "مَصَـؤكَ شِـكِ"، وبذلـك يكـون قـد بـدأ حركـة شـعرية جديـدة، وبعـد أن مـات "مَصَـؤكَ شِـكِ"، أقـام صالونًـا أدبيًـا، وفي عـام 1906 كتـب قصـة "زهـرة الأقحـوان البريـة"، بأسـلوب التصويـر الواقعـي متأثـرًا بــ "مَصَـؤكَ شِـكِ"، ثـم بعـد ذلـك اسـتكمل كتابـة بقيـة قصصـه، وفي عـام 1913 حـدث لـه نزيـف في المـخ، مـما أدى إلى وفاتـه.

وقـد تـم إنشـاء متحـف لـه بجانـب منزلـه، حيـث يعـرض فيـه مؤلفاتـه ومقتنياتـه، وفي عـام 1991 تـم إنشـاء حديقـة عامـة باسـمه، وأقيـم تمثـال لبطـل وبطلـة قصـة "زهـرة الأقحـوان البريـة" في الحديقـة، وفي بعـض محطـات القطـار وكذلـك في بعـض المـدارس توجـد أحجـار تذكاريـة عليهـا شـعره.





نبذة عن المترجم

ماهر أحمد محمد الشربيني:

مترجم مصري من مواليد عام 1959، أستاذ متفرغ بجامعة القاهرة كلية الآداب قسم اللغة اليابانية وآدابها، وهو الثاني عشر عالميًّا الذي يحصل على درجة الدكتوراه في اللغة اليابانية، وأول من حصل على درجة الدكتوراه في كلية آداب جامعة هيروشيما، سواء من الطلاب اليابانيين أو الأجانب، وأول عربي يحصل على درجة الدكتوراه في اللغة اليابانية، وأعلى درجة علمية بين الأساتذة المتخصصين في اللغة اليابانية على مستوى العالم العربي، وأول أجنبي يصبح أستاذًا معارًا إلى جامعة يابانية يقوم بتدريس اللغة اليابانية إلى اليابانيين والصينيين والكوريين، بجانب الحصول على الكثير من شهادات ودروع وميداليات وكؤوس تقدير.

التخصص الدقيق:

نحو اللغة اليابانية الحديثة، التخصص العام: علم اللغة اليابانية. التخرج في جامعة القاهرة كلية الآداب قسم اللغة اليابانية وآدابها عام 1981، وحصل على درجة الماجستير عام 1989، والدكتوراه عام 1992 في جامعة هيروشيما. ترجم العديد من الأعمال عن اللغة اليابانية من أهمها: مذكرات مصابي قنبلة هيروشيما، الفتى الطائش، قلب الأستاذ، قطار المجرة، الانطلاق من الصفر، أنا قط (3 أجزاء)، سلسلة جن الحافي (10 أجزاء)، أجراس ناجازاكي، شموع الجثة.



زهرة الأقحوان البرية

أحرقت ابنة بائع السمك منزلها فقط كي تقابل حبيبها، ولكننا لم نفكر حتى في أي حل، لم يكن لدينا المعرفة والحكمة كي نجاهد من أجل أن نتزوج ونعيش معًا في منزل واحدٍ، إلى هذا الحد كان حبنا طفوليًا، بريئًا وضعيفًا، لا يستطيع الدفاع عن نفسه، كما كنا نحن أيضًا ضعفاء ونخشى أولياء أمورنا، ونخفي حبنا عن إخوتنا، ولا نستطيع أن نُظهِر دموعنا أمام الاخرين.

أشهر وأهم قصة رومانسية كلاسيكية في اليابان، تحولت إلى الكثير من الأفلام و المسرحيات وأفلام الانمي والمسلسلات والقصص المصورة، وبيع منها ملايين النسخ.

في عام 1991 تم إنشاء حديقة عامه في اليابان باسم "إطُو صَتْشِؤ" وأقيم فيها تمثالان لبطل وبطلة رائعته زهرة الأقحوان البرَية.



313-961-2
39612

المحروسة